14 me Année No. 654

Lundi — 14 — 1 — 1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٦٥٤ — « القاهرة فى يوم الإثنين ١٠ صفر سنة ١٣٦٥ — ١٤ يناير سنة ١٩٤٦ » — السنة الرابعة عشرة

عاهل الجزيرة العظيم !

من وادى نجد منبت العرار والخزامى ، ومهبّ الصّبا بمرى النّسمائى[1] ، فاحت عطور الإسلام والعروبة من جديد ، فجّت الرمال الصامتة بسرها المكنون منذ بعيد ؛ وهبّت نسمات الرسول على آل الشيخ[2] وآل سعود فجددوا ما درث من حبل الدين ، وجمعوا ما شتّ من شمل العرب ؛ وتهيأت الفرصة أخرى لشريعة الله لترى الناس كيف بسطت ظلال السلام التام والأمن على أشد بقاع الأرض ضلالة وجهالة وفتنة ؛ وثبت فى طويل العمر عبد العزيز فضائل العرب الأصيلة : فثّل مروءتها فى رهافة حسه ، وأريحيتها فى سماحة نفسه ، وحميّتها فى صرامة بأسه ؛ فهو فى دينه النقى الخالص ، وفى خلقه السّرىّ الصريح ، دليل ناهض على أن الجزيرة العربية لم تعقم بعد أنصار النبوة وأبطال الفتوح . ولا يضيرها أن تتباعد فترات الإنجاب فقد كانت تنجب فى القرن الأول ابن الخطاب ، وفى القرن الأخير ابن سعود !

والملك عبد العزيز كالخليفة عمر من القادة المصطفين الذين أقام الله على عينه ، وأمدهم بسلطانه وعونه ، ليؤيدوا رسالة ويحددوا دعوة أو يوحدوا أمة . وقد اصطفاه الله من آل سعود ليضع على يديه ما ادخر فى هذه الأرض المقدسة المجهولة من عبقرية ، وليعود العرب بنعمة الله عليهم وعليه أمة واحدة ذات عزة وسطوة . والعرب والمسلمون على اختلاف المذاهب ، وتباين الأجناس ، وتنائى الديار ، يولون وجوههم كل يوم خمس مرات شطر المملكة السعودية ، لأنها صلتهم بالسماء ، ورابطتهم فى الأرض ، ومنارتهم فى الحياة !

وابن السعود هو ملك الوطن المشترك ، وإمام القبلة الجامعة ؛ لذلك أوتى محابّ القلوب وطواعية النفوس ، فله فى صدر كل عربى مكانة ، وفى عنق كل مسلم ذمة !

ولقد كان استقباله فى مصر يوم الخميس الماضى تعبيراً شعبياً قوياً عن هذه المعانى التى تجول فى كل خاطر وتتمثل فى كل ذهن : كان استقبالا رائعاً لم تشهد الكنانة مثله لزعيم أو فاتح ؛ لأن العواطف التى حشدت هذه الألوف المؤلفة فى طريق الموكب الملكى على أطورة الشوارع وطنوف العمائر ، وفى أفواء الأزقة ونوافذ البيوت ، كانت شيئاً آخر غير الفضول الذى يسوق الناس فى مثل هذا اليوم ليشهدوا ضخامة الحشد وفخامة الجند وروعة السلطان : إنما كان استقبالا روحياً طبيعياً فيه الحب والإعجاب ، وفيه التجلة والقداسة ، وفيه معنى أسمى من كل أولئك وهو شعور كل مصرى بأنه يستقبل فرعاً من أصله ، وعزيزاً من أهله

فعلى الرحب والسعة يا مجدد التوحيد والوحدة ، ومقيم ملكه الأشم على الحميّة والنجدة ! وعلى الرحب والسعة يا حامى الحرمين ، وثمال القريتين ، وباعث الجزيرة الهامدة إلى عصر جديد سعيد يقوم فيه أمر الله على سيف على ومصحف عثمان ودرة عمر وعزيمة الصديق !

احمد حسن الزيات

(١) العرار والخزامى من رياحين نجد ، والصبا تهب فى نجد شرقا ، وتهب جنوبا وهما أبل الرياح وأرطبها .
(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

فلســـطين ... !

الأستاذ عمر الدسوقى

وإن تعجب فعجب لأمريكا القوية العالمة كيف عمى عليها فلم تتبين الحق الأبلج الوضاء، كأنه الصبح المشرق، من الباطل الحميث المتهم كأنه قطع الليل البهيم :

حق فلسطين العربية المجاهدة، وفى يمينها سفر يسطع بالكفاح المجيد، والتاريخ العتيد، والتراث التليد، والحجج الدامغة؛ ومن ورائها جمهرة بنيها تلهج بلسان عربى مبين، وتتقد حماسة، وتشتعل وطنية فى الدفاع عن الوطن الغالى، متحدية فى شمم وكبرياء مال اليهود وجيش الإنجليز.

وباطل الصهيونية الدلسة الناشمة، ولا تملك من برهان تقنع به بعض الأمم إلا المال تشترى به ضمائر الساسة، وتسخر به أقلام الكتاب، وتفتن به أرباب الصحف، وتسيطر به على الأسواق، وتزخرف به الدعايات المزورة.

من كان يظن أن أمريكا تناصر البهتان فى أبشع صوره، وقد دوت صرختها فى أرجاء المعمورة، يوم أن نزلت إلى ساح الوغى تملأ البر جيوشاً، والبحر أساطيل، والسماء أسراباً، وحشدت العلم والمال، وأرخصت العزيز، والتفتت إلى العالم تنبئه أنها ستصرع الباطل ودولته، والبغى وصولته، وأنها درء الضعيف المهضوم الحق، وكفيلة الحريات بشتى أنواعها، وأنها تنشد للعالم سعادة ورفاهية وحياة مديدة فى رخاء وبلهنية.

أكان ذلك خداع المحتاج، ونفاق المضطر؟ أنحى بألوف الألوف من الشباب الغض، وروعت الأسر الآمنة، والمدن الوادعة، وضربت الأرض العامرة المرعة، ودكت المصانع المزدهرة اليانعة، وقوضت أركان المدنية وبلبلت أفكار الإنسانية وزلزلت مبادئها من القواعد، فى سبيل قضية ملفقة، ودفاعاً عن النهم، ونصرة للباطل فى مسوح الحق؟ !

يا للعار ! !

إن هذا الحكم الجائر على فلسطين العربية الذى افتتح به نواب أمريكا وشيوخها عهد السلم، لأكبر وصمة للمدنية الغربية وأنصع دليل على الضمائر المعتلة، والموازين المختلة، والوثائق الكاذبة، والأيمان الحانثة.

ومن عجب أنهم يصدرونه حفاظاً على ضمائرهم أن تلوث وعهودهم أن تدنس! فأى باطل رأى إفك! !

فيم التحكيم، وقد صدر الحكم؟ إنه أمر بُيِّت بليل، وقد وضحت سرائر القوم وما يضمرونه من سوء، ويديرونه من مكيدة!

ليست فلسطين صنيعة لبعض أرباب اللابين فى أمريكا حتى توهب لأفاق الأرض ومن لفظتهم ديارهم من اليهود.

إن العرب وحدهم هم أولو الشأن فى فلسطين، مهما ظاهر الباطل من قوى وأيده من جاه، وعاضده من ضغط سياسى وأدبى ومادى.

الكلمة فى فلسطين للعرب، والحكم لهم دون سواهم، فإن شاءوا تحطمت قوى الباطل وعظمونه على صفاة إيمانهم وشجاعتهم وصبرهم، وإن شاءوا استناموا للوعود المسولة، والمطامع الكاذبة، والأساليب الملتوية الدنيئة؛ فضاعوا وضاعت ديارهم كلها لا فرق بين فلسطين وغيرها.

إن الأمم التى تريد الحياة العزيزة الحرة لا يضيرها ما يبيته لها الأعداء، وما يحكمون به عليها، ما دام الإيمان يملأ جوانح قلوب أبنائها، وما دامت عزائمهم مبرمة، وأمورهم محكمة وكلمتهم واحدة.

أمريكا تريد أن تتخلص من اليهود الذين ينافسون أبناءها ويسدون عليهم سبل العيش، ويسيطرون على تجارتها، وصحافتها ومسارحها، وخيالتها، وشركاتها، شأنهم فى هذا شأن إخوانهم فى كل بقاع الأرض؛ وتدعى أمريكا أنها حزينة تذوب من الأسى والحسرة لهؤلاء اليهود المشردين فى خرائب أوربا؛ ولن تهدأ حتى تجد لهم مأوى — لا فى سهول أمريكا الخصبة الغنية، ومدنها العامرة الفتية، ولكن — فى أرض فلسطين الجرداء، وعلى ضفاف البحر الميت. فأى إفك وأى زور! !

لتقل أمريكا ما تشاء، فالكلمة الأخيرة للعرب، و

يون الفناء بالقنابل الذرية أو بغيرها ، عن أن يجعلوا من بطين أبدلساً أخرى تغتصب من بين أيديهم وهم ينظرون . حدث هذا — لا قدر الله — فقل على الجنس العربي العفاء ، يكون ذلك مادام في العرب أنفاس تتردد وقلوب تنبض .

أول سلاح للمقاومة هو المقاطعة التجارية ، وقد وضع السلاح أيدي الشعوب العربية ، وهو سلاح فعال قتال ؛ لأن اليهود عباد المال ، وقديماً حينما أغواهم الشيطان ، فضلوا عن عبادة ن ، اتخذوا لهم عجلا من ذهب يعبدونه من دون الله . ولا ون حتى اليوم يقدسونه ويؤلهونه .

ولكن الأمر يتطلب منّا جداً ، حكومات وشعوباً ، لع الصهيونية قد غمرت الأسواق مدة الحرب ، واليهود طرون على التجارة : فهم الوسطاء ، وهم كبار المستوردين ، أثرياء التجار ، ولن ننجح في المقاطعة إلا إذا منعت كومات استيراد سلعهم ، وتيقظت الشعوب ، ورفضت في أ وحمية أن تعامل اليهود أو تشترى منهم . إني لا أخشى على بل الشام إخفاقهم في المقاطعة فهم رجال ذوو دربة وجرأة في جارة ، وجلد على الأسفار ، يستطيعون بما رزقوا من موهبة ية أن يرحلوا إلى أوربا وينشوا أسواقها ويجلبوا منها السلع أمنة ، ويقضوا على الوساطة اليهودية ، والاستيراد اليهودي ، محوا ربحاً مزدوجاً في المال وفي الوطنية ، ويضربوا اليهود بتين مادية ومعنوية .

ولكني أخشى على المصريين ، فالوساطة اليهودية في كل سلع تسيطر على أسواقهم ، ولم نر منهم من شمّر ، وغامر افر واتصل بالمصانع والمتاجر الكبرى في بلاد الغرب ؛ كتسب تجربة ومالا ، وقضى على عدو يمتص دمه ويعرق ، ويلق له بالفضلات والنفايات بعد أن يشبع ويبشم .

إن اليهود بعضهم لبعض ظهير ، ونحن إن لم نقاطع السلع ودية والوساطة اليهودية نكون قد جرحنا العدو ولم نقتله . ي نرى من شبابنا الناهض وتجارنا الذين أثروا مدة الحرب جاعة وإقداماً ؛ فيجددوا في طرق التجارة المصرية ؟ . وهل عند الشعوب العربية حماسة ويقظة تجعلهم دائماً حريصين استعمال سلاح المقاطعة الفتاك حتى تُدحر الصهيونية ؟

يستطيع اليهود بأموالهم العظيمة ، وبعطف إخوانهم الأثرياء عليهم في كل بقاع الأرض ، أن يشيدوا المصانع في فيافي فلسطين إذا عجزوا عن زرعها ، وأسسوا المدن التي تزخر ببنى جنسهم إذا لم يستطيعوا تأسيس القرى والضياع ، فإذا أردنا أن نهدك تلك المصانع ونهدم تلك المدن ، ونجعل فلسطين عليهم بلقعاً جديبا يضيق بهم فيأكل بعضهم بعضاً أو يخلونه ويرحلون ؛ فعلينا بالمقاطعة وتنظيمها حتى يحسوا بها قريباً ، ويعلموا أنا أمم جادة لا هازلة ، وأنا نريد الحياة ونتقن الكفاح ، وأنا في غنى عنهم ، وعما يتشدقون به من إصلاح لأرض فلسطين وزيادة في ثروتها .

أيها العرب ! الكلمة لكم ! والأمر خطير !

اذكروا ضحاياكم ، وقراكم ، وأرضكم ، وتاريخكم !

اذكروا أنكم إن تقاعستم شرد إخوانكم ، ونكبتم في أموالكم ، واستولى عليكم اليهود ، وصرتم لهم أجراء ، وعبيداً أذلاء ! !

اذكروا أن الجامعة العربية — تلك الأنشودة القوية ، والأمنية الحلوة التي طالما ترنمنا بها هي التي تشهر سلاح المقاطعة وهي التي تخوض تلك المعركة ، فإما نصر بعده مجد مؤثل ، وإما إخفاق يتبدد به هذا الحلم الجميل — لا قدر الله .

عمر الدسوقي

إدارة البلديات — مياه

تقبل العطاءات بإدارة البلديات (بوستة قصر الدوبارة) لغاية ظهر يوم ٥ فبراير سنة ١٩٤٦ عن توريد مواسير وقطع وأدوات مياه لمجلس تلا

وتطلب الشروط والمواصفات من الإدارة على ورقة دمغة فئة الثلاثين مليما مقابل دفع ٢٠٠ مليم و٠٠ جنيه خلاف مصاريف البريد . ٤٧٤٢

في إرشاد الأريب
إلى معرفة الاديب
للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ٢٢ —

ج ٥ ص ٢٤٥ :

فهلا قلى فى الأرض عن منزل العلا
مسار إذا أخرجتنى ومسارب
وإن كنت ترجو طاعتى باهانتى
وقسرى فان الرأى عنك لعازب

قلت : إذا أخرجتنى :

* * *

ج ١٠ ص ٢٠٨ : ومن جيد شعره (شعر أبي زبيد الطائى) :

إن نيل الحياة غير سعود وضلال تأميل نيل الخلود[1]
علل المرء بالأمانى ويضحى غرضاً للمنون نصباً لعود[2]
كل يوم ترميه منها برشق فصيب أوصال غير بعيد
كل ميت قد اغتفرت فلا واجع (م) من والد ومن مولود[3]

قلت: (علل المرء بالرجاء ويضحى ... غرضاً للمنون نصب العود)

(فصيب أوصاف غير بعيد) فى اللسان : صاف السهم عن الهدف يصيف صيفاً : عدل بمعنى ضاف .

(فلا أجزع من والد ولا مولود) .

فى (الشعر والشعراء) لابن قتيبة : وعلى هذه القصيدة احتذى ابن مناذر فى مرثية عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى .

فى (الكامل) : ومن حلو المراثى وحسن التأبين شعر ابن مناذر فانه كان رجلا عالماً مقدّماً شاعراً مفلقاً وخطيباً مصقعاً وفى دهر قريب ، فله فى شعره شدة كلام العرب بروايته وأدبه ، وحلاوة كلام المحدثين بعصره ومشاهدته . ولا يزال قد رمى فى شعره بالمثل السائر والمعنى اللطيف واللفظ الفخم الجليل والقول المتسق النبيل . وقصيدته لما امتداد وطول ، وإنما نملى منها ما اخترنا . قال يرثى عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى ، واعتبط عبد المجيد لعشرين سنة من غير ما علة وكان من أجمل الفتيان وآدبهم وأظرفهم .

وروى أبو العباس من القصيدة تسعة وثلاثين بيتاً . منها :

حين تمت آدابه وتردى رداء من الشباب جديد
وسقاه ماء الشبيبة فاهتز (م) اهتزاز الغصن الندى الأملود
وسمت نحوه العيون وما كان (م) عليه لزائد من مزيد
ما درى نعشه ولا حاملوه ما على النعش من عفاف وجود !

فى (الأغانى) : لما قال ابن مناذر :

ولئن كنت لم أمت من جوى الحزن (م)
عليه لأبلغن مجهودى
لأقيمن مأتماً كنجوم الليل (م) زهراً يلطمن حر الخدود
موجعات يبكين للكبد الحرى (م) عليه وللفؤاد العميد !

قالت أم عبد المجيد : والله لأبرن قسمه ، فأقامت مع أخوات عبد المجيد وجواريه مأتماً عليه ، وقامت تصيح عليه : (واى ويه! واى ويه !) فيقال : إنها أول من فعل ذلك وقاله فى الإسلام .

* * *

ج ١٥ ص ١٨٥ :

فاسلم على الدهر شديد القوى ذا مرة ما شد كف بنان

قلت : (ما شد كفاً بنان) فى التاج : قال شيخنا هى (الكف) مؤنثة وتذكيرها غلط غير معروف وإن جوزه بعض تأويلا ، وقال بعض : هى لغة قليلة . فالصواب أنه لا يعرف ، وماورد حملوه على التأويل ، ولم يتعرض المصنف (صاحب القاموس) لذلك قصوراً أو بناء على شهرته أو على أن الأعضاء المزدوجة كلها مؤنثة . وفى اللسان : الكف : اليد أنثى ، وفى التهذيب : والعرب تقول : هذه كف واحدة . وفيه : البنان الأصابع وقيل : أطرافها واحدتها بنانة . وفى الصحاح : ويقال : بنان مخضب لأن كل جمع ليس بينه وبين واحده إلا الهاء فانه يوحد ويذكر .

* * *

(١) رواية (جمهرة أشعار العرب) القرشى : (طول الحياة وطول الخلود) ورواية الشعر والشعراء لابن قتيبة (نيل ونيل) مثل رواية (الارشاد)
(٢) فى طبعة (عيون الأخبار) : (يعلك المرء بالرجاء ويضحي) .
(٣) فى الشعر والشعراء :
كل ميت قد اعتفت فلا أوجع (م) من والد ولا مولود

ج ١٠ ص ٨٦ : قال (أبو القاسم الحسين بن على المعروف بالوزير المغربى) :

لى كلما ابتسم النهار تعلة بمحدث ماشاء قلبى شأنه
فاذا الدجى وافى وأقبل جنحه فهناك يدرى الهم أين مكانه

وجاء فى شرح (ما شاء قلبى شأنه) : يريد أن حاله لا تتخطى ما أشاء .

قلت : (بمحدث ماشأن قلبى شانه) بتخفيف شانه ضرورة .

الوزير المغربى هـذا هو الذى بعث إليه أبو العلاء برسالة (الصاهل والشاحج) وأولها « إن كان للآداب أطال الله بقاء سيدنا نسيم يتضوع ، وللذكاء نار تشرق وتلمع ، فقد فغمنا على بعد الدار أرج أدبه ، ومحا الليل عنا ذكاؤه بتلهبه[1] » وبرسالة (الاغريض) « لما أنفذ إليه مختصر إصلاح المنطق الذى ألفه وفيها وصف المختصر » وأولها : « بسم الله الرحمن الرحيم السلام عليك أيتها الحكمة المغربية والألفاظ العربيـة ، أى هواء رقاك ، وأى غيث سقاك[2] » .

قال العلامة الدكتور عبد الوهاب عزام فى مبحثه (الروم وما لا يلزم متى نظم وكيف نظم ورتب) :

« كان أبو القاسم المغربى الوزير ممن أقام بالمعرة ، وكان يواد العرى ويراسله ، وكان المعرى يحفظ له ولأبيه من قبل أياديه ، لما توفى رثاه بأبيات مثبتة فى اللزوميات ، ولا أعرف رثاء لغيره ولا مدحاً صريحاً » وروى العميد اللزومية وهى سبعة أبيات ثم قال : « وهذا الوزير توفى سنة ٤١٨ . فهذه القطعة نظمت فى هذه السنة » .

قلت : ورد فى ختامها هذا البيت :

لم يخط الذنب اليسير حفيظاك (م) فكم من فضيلة محا به

وإنى أرى أن البيت يشـير إلى شىء لم يذكر فى (إرشاد الأريب) ولا فى (وفيات الأعيان) ولم يشر إليه . وفى شرح نهج لابن أبى الحديد حديث عن الوزير المغربى فيه ما ليس فى هذين الكتابين ، ومنه تعرف تلك الاشارة . وأن يذكر (الشيخ) عيب الرجل — وإن صغره وقال بعده ما قال — براعة منه وإنصاف بأعلامه أن هناك مأثماً . وقال : «إنه كان حوبا كبيرا» .

قال ابن أبى الحديد : حدثنى أبو جعفر يحيى بن محمد بن زيد العلوى نقيب البصرة قال : لما قدم أبو القاسم على بن الحسين المغربى من مصر إلى بغداد استكتبه شرف الدولة أبو على بن بويه وهو يومئذ سلطان الحضرة وأمير الأمراء بها والقادر خليفة . ففسدت الحال بينه وبين القادر ، واتفق لأبى القاسم المغربى أعداء سوء أوحشوا القادر منه ، وأوهموه أنه مع شرف الدولة فى القبض عليه وخلعه من الخلافة ، فأطلق لسانه فى ذكره بالقبيح ، وأوصل القول فيه والشكوى منه ، ونسبة إلى الرفض وسب السلف وإلى كفران النعمة وأنه هرب من يد الحاكم صاحب مصر بعد إحسانه إليه . قال النقيب أبو جعفر (رحمه الله تعالى) فأما الرفض فنعم ، وأما إحسان الحاكم إليه فلا ، كان الحاكم قتل أباه وعمه وأخاً من إخوته ، وأفلت منه أبو القاسم بجريمة الذقن[1] ، ولو ظفر به لألحقه بهم . وكان أبو القاسم المغربى ينسب فى الأزد ويتعصب لقحطان على عدنان وللأنصار على قريش ، وكان غالياً فى ذلك مع تشيعه . وكان أديباً فاضلا شاعراً مترسلا وكثير الفنون عالماً . وانحدر مع شرف الدولة إلى واسط فاتفق أن حصل بيد القادر كتاب بخطه شبه مجموع ... أتحفه به من كان يشنأ أبا القاسم ويريد كيده ، فوجد القادر فى ذلك المجموع قصيدة من شعره فيها تعصب شديد للأنصار على المهاجرين حتى خرج إلى نوع من الالحاد والزندقة لإفراط غلوه ، وفيها تصريح بالرفض مع ذلك ، فوجدها القادر تمرة الغراب ، وأبرزها إلى ديوان الخلافة فقرىء المجموع والقصيدة بمحضر من أعيان الناس من الأشراف والقضاة والعدلين والفقهاء ، ويشهد أكثرهم أنه خطه وأنهم يعرفونه كما يعرفون وجهه ، وأمر بمكاتبة شرف الدولة بذلك ، فلما أن وصل الكتاب إلى شرف الدولة بما جرى

(م) لم يخط الذنب اليسير حفيظاك فكم من فضيلة محا به

(١)، (٢) رسائله ص ٥ ، ٣٥ وروى الاغريضة (صبح الأعشى) ١٤ ص ١٨٣

(١) هذه الجملة كان أصلها فى الكتاب (وأفلت منـه أبو القاسم بخديعة الدين) ولا معنى لها بهذا التصحيف . فى (مجمع الأمثال) : أفلت فلان جريعة الذقن : نصب جريعة على الحال كأنه قال : أفلت قاذفا جريعة : تصغير جرعة وهى كناية عما بقى من روحه يريد أن نفسه صارت فى فيه وقريباً منه كقرب الجرعة من الذقن ، ويقولون : أفلت بجريعة الذقن وبجريعاء الذقن . أضافها إلى الذقن لأن حركة الذقن تدل على قرب زهوق الروح والتقدير أفلت مشرفا على الهلاك .

اتصل الخبر بأبي القاسم فهرب ليلا ... وكنت برهة أسأل النقيب أباجعفر عن القصيدة وهو يدافعني بها حتى أملاها على بعد حين، وقد أوردت هنا بعضها لأني لم أستجز ولم أستحل إيرادها على وجهها.

وروى ابن أبي الحديد من القصيدة سبعة وعشرين بيتاً. ثم قال: فهذه الأبيات هي نظيف القصيدة التقطناها وحذفنا الفاحش، وفي الملتقط المذكور أيضاً ما لا يجوز ...

قلت: أجتزىء برواية هذا البيت من النظيف الملتقط ...:

والفضل ليس بنافع أربابه إلا بسعدة من الأقدار

* * *

ج ١٦ ص ٣٠٣: ... فان من سلك الجدد أمن العثار، وسلم من سالم النقع المثار.

وجاء في الشرح: المثار: المهاج المتطاير في الهواء.

قلت: وسلم مَن سالمَ النقعَ المثارَ. وقد فسر المثار بالمهاج. والذي جاء في اللغة في هذا المعنى هو ما ذكره الأساس: «هاج الغبار، وهاجه وهيجه» فهو مهيج ومهيّج، وهاج يتعدى ولا يتعدى. و «أهاجه أيبسه» كما في القاموس، وفي اللسان: «أهاجت الريح النبت أيبسته» ومثل ذلك في التاج. وفي (الضياء) للشيخ اليازجي: «ويقولون: أهاجه الغضب، والصواب في ذلك التجريد».

* * *

ج ١٠ ص ٩٠: وكان سبب تقدمه ونواله الأمارة.

وجاء في الشرح: النوال العطاء واستعمله هنا بمعنى النيل.

قلت: يقول العلامة الشيخ إبراهيم اليازجي في مجلته الضياء (س ١ ص ٣٨٥): ويقولون: هو يسعى لنوال بغيته، وإنما النوال بمعنى العطاء أي الشيء الذي يعطى وليس بمصدر لنال، والصواب لنيل بغيته.

ويقول العلامة الأمير شكيب أرسلان في كتابه (شوقي أو صداقة أربعين سنة) ص ٥٦: ... وكان — يعني الشيخ اليازجي — يمنع أن يقال (نوال) بمعنى (نيل) ولا يرضى لها تخريجاً. ولو قرأ — وأظنه من شعر الحماسة:

أرى الناس يرجون الربيع وإنما ربيعي الذي أرجو نوال وصالك

لعلم أنه لم يكن على صواب فيما ذهب إليه.

قلت: البيت في مقطوعة بديعة مما اختار حبيب، وبعده:

أرى الناس يخشون السنين وإنما سنيّ التي أخشى صروف احتمالك

لئن ساءني أن نلتني بمساءة لقد سرني أني خطرت ببالك

ليهنك إمساكي بكفي على الحشا ورقراق عيني رهبة من زيالك

* * *

ج ١٦ ص ٢٠٢: (من قصيدة في وصف هرة):

ثم قلدتهـــا لحوفي عليها ودعات ترد شر العيون

وإذا ما وترتها كشفت لي عن جراب ليست متاع العيون

وجاء في الشرح يريد بالجراب ما تخرج منه براثنها حين المفاضبة.

قلت: (العيون) الأولى بفتح العين. في اللسان: رجل معيان وعيون شديد الاصابة بالعين والجمع عين (بضمتين) وعين (بكسر العين) وما أعينه! وذكر الأساس الكلمتين وأضاف إليهما العيّان. و (الجراب) هو (الحراب) بالحاء.

* * *

ج ١٥ ص ٢٢٠:

وخرق رحيب الباع لو نيط طوله بعروة عمـــر لم تكد تتصرم

وجاء في الشرح: الخرق الصحراء وصفها بالسعة والطول حتى أنها لو نيطت بعمر فإن العمر يتصرم وهي لا تكاد تتصرم.

قلت: الخرق — بفتح الخاء — القفر والأرض الواسعة كما في القاموس.

(بعروة عمر لم يكد يتصرم) أي لو نيط طول هذا القفر بعروة عمر لم يكد هذا العمر يتصرم.

* * *

ج ٤ ص ١٨٠: ... ولا يعرف فتيلا من وثير، ولا يؤلف بين كلمتين في تعبير.

وجاء في الشرح: الفتيل: السحاة التي يشق النواة، يقال ما أغنى عنه فتيلا أي شيئاً تافهاً مثل الفتيل. الوثير: الوطيء اللين من الفراش.

حكومة النساء لدى الخلفاء

من بني العبـــــاس

الأستاذ صلاح الدين المنجد

يقول (دوفيل) في كتابه عن الأمبراطورة (جوزفين) ، إن من النساء من أوتين الميل إلى الحكم والرغبة فيه ، رغم ما فيه من مشاق ومصاعب ، لأنهن لا يرين في شيء من الأشياء مستحيلا . فتلك ظاهرة في طبعهن وغريزتهن . فهن يرغبن في الإحاطة بكل شيء علماً ، وعرفان ما تحته وما فوقه ، ليتممن النقص الذي فيهن .

فهن يحكمن على عشاقهن ؛ فإذا أخطأهن ما أملن ، حكمن على أزواجهن وأولادهن ثم تمتد ذلك إلى حكم سواحبهن ، فاذا وجدن المجال ذا سعة ، وكن ممن يلوذ بالملوك والأمراء والوزراء ، سولت لهن أنفسهن أن يحكمن الرعية ويدبرن أمورها .

أما حكمهن العشاق ، فأمر لا ريب فيه ، فهن في أغلب الأحايين ، عابثات بالقلوب ، لاعبات بالألباب . أما حكمهن الأزواج فأمر كثير الوقوع ، وندر أن تجد امرأة لا تحكم زوجها . ولكن حكمهن العباد ، وتصرفهن في الأمور ، وتدبيرهن الملك قد تبدو مستحيلة لا تقع ، بعيدة لا تنال . على أن لجاجة النساء لا توصف ولجاجهن لا يدرك ، ثم هن لا يعرفن المستحيل . وفي التاريخ الإسلامي ألوان من البرهانات ، تدل على حكمهن . وسأسوق الأدلة من بدء العصر العباسي ، إلى منتصف القرن الرابع الهجري .

وقبل أن أبدأ ، أذكر أن الجاحظ قد لاحظ بعض هذا ، فقال : « إنه لم يزل للملوك إماء يختلفن في الحوائج ويدخلن في الدواوين ، ونساء يجلسن للناس» فيذللن ما صعب وينلن ما بعد . على أن سلطانهن ، كان على قدر مبلغ سحرهن ونفوذ أمرهن ، وتملكهن قلوب الخلفاء . وواضح أن تحكمهن يكون على قدر ضعف الخليفة ورقة عقله ، وانقياده . ولذلك تجد أن بعضهم تركوا لهن الأمر كله ، وأن بعضهم سايروهن مرة ، وغاضبوهن مرة ، وآخرون لم يحفلوا بهن أبداً .

فالسفاح ، ابتعد عن النساء ، فلم يرغب فيهن لملذاته بل لاستشاراته . وحاول خالد بن صفوان أنه يثير شهواته مرة بذكر الجواري وأوصافهن ليغريه بشرائهن ، فلم يفلح . وكان يقول : العجب ممن يترك أن يزداد علماً ، ويختار أن يزداد جهلا . فسئل : ما تأويل ذلك ؟ قال : تترك مجالسة مثلك ومثل أصحابك ويدخل إلى امرأة فلا يزال يسمع سخفا ويروي نقصا .

على أن المنصور كان ألين منه ، وأندى سمعاً للنساء . فقد تزوج ابنة منصور الحميرية ، فشرطت عليه أن لا يتزوج ولا يتسرى إلا عن أمرها ، ففعل . ولم يتعد سلطانها زوجها[1] .

وبدأ سلطان المرأة يقوى منذ تولى المهدي الخلافة ، وتزوج

قلت : (ما يعرف قبيلا من دبير) ذكره الميداني في (مجمع الأمثال) وأورد اللسان له أكثر من عشرة تفاسير ... منها : لا يعرف الأمر مقبلا ولا مدبرا ... وقيل : ما يعرف نسب أمه من نسب أبيه ... وقيل : القبيل القطن والدبير الكتان ... وقال المفضل : القبيل فوز القدح في القمار والدبير خيبة القدح ...

* * *

ج ١٩ ص ٥٢٨ : البحتري :

وكأن اللقاء أوّلُ من أمس (م) ووشك الفراق أول أمس

قلت : (أولَ من أمس و (أولَ أمس) في الصحاح : تقول ما رأيته منذ أمس فان لم تره يوماً قبل أمس قلت ما رأيته مذ أول من أمس فان لم تره مذ يومين قبل أمس قلت ما رأيته مذ أول من أول من أمس ولم يجاوز ذلك . في التاج : أمس جمعه آمس وأموس وآماس ، قال :

مرت بنا أول من أموس تميس فينا مشية العروس

والنسبة إلى أمس إمسي على غير القياس وهو الأفصح .

نسيت أن أروي من قبل بيتاً للبحتري في أمثاله وحكمه يحتاج إلى التمثيل به كثيراً ، والبيت هو هذا :

ليس الذي يعطيك تالد ماله مثل الذي يعطيك مال الناس[1]

---

(١) في الرسالة ٦٥٠ في القسم — ٢٠ — إلى ذي السنى هي (إلى ذا السنى) ومحقود أو حاقد هي (ومحقود عليه أو حاقد) وفي (عليه) الشاهد ٢٦٠٤

(١) العقد الفريد ج ٣ ص ٢٠٠ .

الخيزران . فقد كان لها سلطان على القصر ، والندماء والحجاب والأطباء ، تقرّب منهم من تشاء وتبعد من تشاء . ولقد أخذت مرة فى مناكدة بختيشوع بن جورجيس الطبيب ومضاربته ، وأثرت فى الهدى ، فلم يرد بداً من إعادته إلى جند يسابور[1] .

فلما ولى الخلافة الهادى زاد نفوذ الخيزران وتدخلها فى شؤون الدولة . وقد كان الهادى يتناول المسكر ، ويلعب ويلهو ، ويركب حماراً فارهاً ، ولايقيم للخلافة أبهة ولا عظمة ؛ فلا عجب ممن كان هذا شأنه إن وكل أمور الدولة كلها إلى أمه الخيزران . فقد كان كثير الطاعة لها يجيبها فيما تسأل من الحوائج . فكانت المواكب لا تخلو من بابها . وبلغ الأمر بها أن استولت على زمام الأمور . واستيقظ الهادى من غفوته أو غفلته ، ورأى أن أمور الدولة بين يدى أمه . فكلمته ذات يوم فى أمر ، فلم يجد إلى إجابتها سبيلا فاعتل بعلة ، فقالت لا بد من إجابتى . قال لا أفعل . قالت : إذاً لا أسألك حاجة أبداً . قال إذاً والله لا أبالى ، ولئن بلغنى أنه وقف ببابك أحد من قوادى أو أحد من خاصتى أو خدمى لأضربن عنقه ، ولأقبضن ماله ، فمن شاء فليلزم ذلك » . ثم أخذ يعنفها ويؤنبها ويقول لها : « ما هذه المواكب التى تغدو إلى بابك كل يوم؟ أما لك منزل يشغلك أومصحف يذكرك أو بيت يصونك ، إياك إياك أن تفتحى فاك فى حاجة لمسلم ولاذى[2] » .

وكانت الخيزران من ذوات الأثرة . وهذا النوع من النساء لا يبالى بما يفعل فى سبيل إرضاء الأثرة والأنانية وبسط النفوذ . ولقد كانت ترغب فى الأمر والنهى والحكم . فوقف الهادى — بعد أن اتسع الخرق — ليسترد سلطانه . فلما ضايقها الأمر ، وآنست من ابنها معارضة وقوة ، وآلمها أن يذهب سلطانها ، وترد المواكب عن بابها ، أرادت أن تنتقم منه ، فدست إليه جوارى من جواريها ، غطين وجهه وجلسن فوقه ، فقتلنه[3] . كل ذلك ليعود الأمر إليها وحدها كما كان . وقد تم لها ما أرادت وتدفقت عليها الأموال ، حتى بلغت غلتها قبيل موتها مائة ألف ألف ، وستين ألف درهم[4] . وقد قدر أحدهم أن هذا المبلغ يعادل نصف خراج المملكة العباسية آنئذ وثلثى غلة روكفلر فى أوائل هذا القرن[1] .

فلما ولى هارون الخلافة كانت الخيزران هى الناظرة فى الأمور ، وكان يحيى بن خالد يعرض عليها ويصدر عن رأيها[2] . وكان الرشيد لا يعصى لها أمراً . وقد ذكر الطبرى أن الرشيد لما عاد من دفنها ، دعا الفضل بن الربيع وقال له : وحق المهدى ، إنى لأهم لك من الليل بالشىء من التولية وغيرها ، فتمضى أمى ، فأطيع أمرها[3] .

أما بعد مقتل البرامكة فقد استبد الرشيد برأيه ، حتى إن ظئره أم جعفر — وكانت قد أرضعته وربته — دخلت عليه أيام النكبة ، فتلقاها وأكب على تقبيل رأسها ومواضع ندبيها . فقالت يا أمير المؤمنين : أيعدو علينا الزمان ويجفونا ، خوفاً لك ، الأعوان ، وقد ربيتك فى حجرى وأخذت برضاعك الأمان من عدوى ودهرى ... ثم أخذت تستشفعه فى يحيى والفضل ، فلم يسمع لها ولم يرق لكلامها[4] .

ولم يكن لزبيدة من الأمر ، زمن الرشيد ما كان للخيزران وإن كانت هى أيضاً ذات سلطان . وكانت تهب وتصل وتعطى وتستشفع ، ولكنها ما كانت لتتدخل فى شؤون الدولة . ولعل ذلك راجع إلى البرامكة الذين استولوا على الأمور كلها .

وفى الحقبة الممتدة بين خلافة المأمون والمعتضد ، نلاحظ تدخل القيان من مسمعات ومغنيات وشواعر فى أمور الدولة . ونلاحظ عظيم سطوتهن عند الخلفاء . فكن يستشفعن ويقربن ويولين ويبعدن . وإن كان بعض هذا قد حدث زمن الرشيد أيضاً . فقد كان كلفاً بذات الخال فخلف لها يوماً أن لا تسأله شيئاً إلا قضاه ، فسألته أن يولى رجلا يحبها ، الحرب والخراج بفارس سبع سنين ، ففعل ذلك وكتب عهده به وشرط على ولى العهد بعده أن يتمها له إن لم تتم فى حياته[5] . ولعله أجابها إلى ماسألت ليخلو له الجو ...

(١) القفطى ص ١٠١
(٢) مروج الذهب جـ ٢ ص ٢٥٨
(٣) ابن الأثير جـ ٦ ص ٤٠ .
(٤) مروج الذهب جـ ٢ ص ٢٦٣

(١) زيدان ٢ـ١١١
(٢) الطبرى سنة ١٧٠ ١٠ـ٦٠٤
(٣) المصدر السابق ١٠ـ٦٠٩
(٤) العقد الفريد جـ ٣ ص ٢٦٧ .
(٥) الأغانى جـ ١٠ ص ٧٦

ويذكر الأصبهانى أن إبراهيم بن المدبر ، لما سجن ، سألت عريب — وما أدراك ما عريب ! — الخليفة فى إخراجه ، فوعدها بما تحب ، ثم أطلقه[١] .

وكانت القيان ذوات السلطان ، يتعصبن لطائفة سياسية ، ويشايعن مذهباً ، ويقضين حوائج أهله عند أولى الأمر . وقد ذكر ابن المعتز أن فضلا الشاعرة — وكانت فى نهاية الجمال والكمال والفصاحة وجودة الشعر — كانت تتشيع ، وتتعصب لهذه العصابة من الناس ، وتقضى حوائجهم بجاهها ومنزلتها عند الملوك والأشراف[٢] .

وغضب الواثق مرة على إسحاق الموصلى ، فوضعه عليه فريدة جاريته ، وكانت فريدة أثيرة عند الواثق حظية لديه[٣] .

* * *

وإذا تتبعنا أخبار هؤلاء النساء والقيان ، نجد أنهن ، حوالى سنة ٣٠٠ هـ ، أصبحن ذوات سلطان كبير . ويذهب آدم متز إلى أنهن كن يطالبن بالحق فى المهام الكبيرة — وما أشبه الليلة بالبارحة — لأن ابن بسام الشاعر يقول :

ما للنساء وللكتا بة والرسالة والخطابه
هذا لنا ، ولهن منا أن يبتن . . .[٤]

على أن القرن الرابع قد امتاز بالقهرمانات ؛ فقد كان لهن الأمر كله ، وكن يعملن الأعمال الكبار ؛ يعزلن الوزراء ويولين ولاة ، ويجلسن للمظالم . وقد ذهبن إلى أبعد من هذا وذاك ، لكن يقضين بين الناس . فأم موسى القهرمانة هى التى أوصلت ابا الحسين بن أبى البغل إلى الوزارة ، فكان لايخرج عن أمرها[٥] كانت تجلس أخاً لها عند القصر ، فيلقاه الناس وأصحاب الحوائج يأخذ رقاعهم وشكاواهم وقصصهم إليها[٦] .

وهى التى أغرت المقتدر بالله والسيدة أمه ، بعلى بن عيسى بن داوود فى وزارته (سنة ٣٠٤) فقبض عليه وأودع السجن[١] .

وهى التى كانت تزيد فى أرزاق الخدم وتنقص منها[٢] .

والسبب فى تدخل هؤلاء القهرمانات فى أمور الدولة ، ضعف المقتدر . فقد كان مشهوراً بالتدبير بآراء النساء[٣] . وكانت السيدة والدته وخاطف ، ودستنبويه ، أم ولد المعتضد ، يدبرن الأمر لصغره . ثم ظل تدخلهن جارياً . وهكذا انتقلت الحكومة فى أيامه ، فى بغداد ، من الرجال إلى النساء .

وفى سنة (٣٠٦ هـ) ، صار الأمر والنهى لحرم الخليفة — المقتدر دائماً — ولنسائه . وآل الأمر إلى أن أمرت أم المقتدر قهرمانة لها تعرف (بمثل) أن تجلس للمظالم بالتربة التى بنتها بالرصافة ، وأن تنظر فى رقاع الناس كل جمعة ، فكانت تجلس وتحضر القضاة والأعيان وتبرز التواقيع وعليها خطها[٤] .

وقبضت أم المقتدر على زمام الأمر . وامتد سلطانها على كل شىء حتى إنها كانت تراقب — لحذرها — ما كان يقرأه أبناؤها . وقد ذكر الصولى أنه كان يوماً عند الراضى يقرأ عليه شيئاً من شعر بشار ، وبين يدى الراضى كتب لغة وكتب أخبار ، إذ جاء خدم من خدم السيدة جدته ، وهى شغب أم المقتدر ، فأخذوا جميع ما بين أيديهما من الكتب ، فجعلوه فى منديل أبيض كان معهم ومضوا . فاغتاظ الراضى . فكلم منه أستاذه ، وأفهمه أنهم أرادوا أن يمتحنوا الكتب . ولما مضت ساعتان أو نحو ذلك ردوا الكتب بحالها ، فقال لهم الراضى : قولوا لمن أمركم بهذا : قد رأيت هذه الكتب ، وإنما هى حديث وفقه وشعر ولغة وأخبار وكتب العلماء . وليست من كتبكم التى تبالغون فيها مثل عجائب البحر ، وحديث سندباد ، والسنور والفأر[٥] .

وظل المقتدر على عرش الخلافة زهاء خمسة وعشرين عاماً ، والنساء من حوله يحكمن .

ومن الطرافة أن نذكر هنا أن المعتضد كان قد تنبأ لابنه

(١) الأغانى جـ ١٩ صـ ١١٦ .
(٢) طبقات الشعراء لابن المعتز صـ ٢٠٠ .
(٣) الأغانى جـ ٥ صـ ٩٠ .
(٤) آدم متز جـ ٢ صـ ١٤٥ .
(٥) الصابى صـ ٢٧٢ .
(٦) الصابى صـ ٢٧٧ .

(١) الصابى صـ ٢٨٦ .
(٢) الصابى صـ ٣٠٢ — ٣٠٤
(٣) الصابى صـ ٢٧٩ .
(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطى صـ ١٥٣ ، والمنتظم جـ ٦ صـ ١٤٨ .
(٥) آدم متز جـ ١ صـ ١٦ (نقلا عن أوراق الصولى) .

المقتدر بأن النساء سيستولين عليه . حدث صافى الحرمى مولى المعتضد قال : مشيت يوماً بين يدى المعتضد ، وهو يريد دور الحرم فلما بلغ باب (شغب) أم المقتدر ، وقف يتسمع ويتطلع من خلل الستر فإذا هو بالمقتدر ، وله إذ ذاك خمس سنين أو نحوها وهو جالس ، وحواليه مقدار عشر وصائف من أقرانه فى السن ، وبين يديه طبق فيه عنقود عنب فى وقت لا يوجد فيه العنب ، والصبى يأكل عنبة واحدة ثم يطعم الوصائف كلهن على الدور ، حتى إذا بلغ الدور إليه أكل عنبة واحدة ، حتى فنى العنقود ، والمعتضد يتميز غيظاً . فاهتم ورجع ، فسألته فقال : والله ياصافى لولا النار والعار لقتلت هذا الصبى اليوم ، فإن فى قتله صلاحاً للأمة . فقلت يا مولاى حاشاه ، أى شىء عمله ؟ أعيذك بالله من اللعين إبليس . فقال ويحك ، أنا أبصر بما أقول . أنا رجل قد سست الأمور وأصلحت الدنيا بعد فساد شديد ، ولا بد من موتى ، وأعلم أن الناس بعدى لا يختارون غير ولدى ، وسيجلسون ابنى علياً (يعنى المكتفى) ، وما أظن عمره يطول للعلة التى به (يعنى الخنازير التى كانت فى حلقه) فيتلف عن قريب ، ولا يرى الناس إخراجها عن ولدى ، فلا يجدون بعده أكبر من جعفر (يعنى المقتدر) فيجلسونه وهو صبى ، وله من الطبع فى السخاء هذا الذى رأيت فتحتوى عليه النساء لقرب عهده بهن ، ويقسم ما جمعه من الأموال كما قسم العنب .

وكانت الصورة كما قال المعتضد بعينها[1] .

وفى عهد المقتدر اشتد سلطان امرأة أخرى يقال لها (زيدان) وكان لها طبيب خاص بها ، هو عيسى البغدادى ، يحمل الرقاع بين الوزراء وربما حملها إليها لتعرض ذلك على الخليفة[2] .

وقد استطاعت زيدان هذه أن تتمكن من جواهر المقتدر وأن تأخذ سبحة لم ير مثلها ، كان يضرب بها المثل ، فيقال سبحة زيدان . وكانت قيمتها ثلثمائة ألف دينار[3] . واستطاعت أن تجعل دارها سجناً . فقد سجن عندها على بن عيسى بن داود بعد وزارته[1] ، ومن قبله وكل بابن الفرات عندها[2] ، كما سلم إليها الأمر الحسين بن حمدان أيضاً[3]

وثمة خليفة آخر لعبت به النساء ، هو المستكفى . فقد كان عبداً لحسن الشيرازية . وكانت هذه قد سفرت بينه وبين توزون القائد التركى ، واستطاعت أن يكون خليفة ، وتولت أيضاً سمل المتقى بيد غلامها السندى[4]

وأصبحت بعد ذلك تستبد بالمستكفى ، وتتولى عرض الغلمان والحجاب فى قصر الخليفة ، فى مجلس يقال له الحوذان . فانخرقت الهيبة بهذه المرأة ، وذهبت الرسوم التى كانت للخلافة ، وصارت الدار طريقاً لكل من يراها[5] .

* * *

ويتضح من هذا ، ما كان عليه خلفاء بنى العباس ، حتى منتصف القرن الرابع ، وما كان من أثر النساء فيهم ، وما أدى إليه تدخلهن فى الأمور ، من انخراق الهيبة ، وضياع الأمور ، وانتشار الفوضى . وهذه نتائج طبيعية محتومة لمن يولى أمره امرأة ويدعها تفعل ما تشاء .

(دمشق) صلاح الدين المنجد

(١) المنتظم لابن الجوزى جـ ٦ ص ٧١

(٢) تاريخ الحكماء للقفطى ص ٢٤٩

(٣) المنتظم جـ ٦ ص ٧٠

(١) تاريخ الوزراء ... لصابى ص ٢٨٦

(٢) المصدر السابق ص ١٠٥

(٣) آدم متز جـ ١ ص ٢٤٣

(٤) آدم متز جـ ١ ص ٢١ (نقلا عن مخطوط كتاب العيون ٢٢٠ — ٢٢٣)

(٥) المصدر السابق جـ ١ ص ٢٤٠ (نقلا عن المخطوط السابق ٢٢٤ آ — ٢٢٦ ب)

أعلان

يوجد بإدارة التوريدات بوزارة المعارف عدد محدود من نسخ الجزء الثانى من آثار أبى العلاء — وتباع النسخة للراغبين بمبلغ جنيه مصرى واحد .

٤٦٩٣

من محاسن التشريع الإسلامي

للأستاذ حسن أحمد الخطيب

— ١١ —

برّه بأهل الذمة :

من مزايا الشريعة الإسلامية ، ومظاهر برّها ، وشواهد فضلها ، ودلائل إنعامها وخيرها ، ومن آي تسامحها — كفالتها لأهل[١] الذمة ورحمتها بهم ، ورعايتها لهم ، ودفع الظلم والأذى عنهم ، فإنهم متى أعطوا الجزية — وجب تأمينهم ، وحمايتهم ، والدفاع عنهم ، وتوفير الحرية لهم فى دينهم بالشروط التى تعقد بها الجزية ، ومعاملتهم بعد ذلك بالعدل والمساواة كالمسلمين ، وبحرم ظلمهم وإرهاقهم بتكليفهم مالا يطيقون كالمسلمين ، وينسمون أهل الذمة ، لأن هذه الحقوق ثبتت لهم بمقتضى ذمة الله وذمة رسوله صلوات الله وسلامه عليه[٢] .

أما الجزية التى تفرض عليهم فليس فيها مشقة ، ولا عنت ، كما أنها لم تجب عليهم اعتسافاً وتحكما ، فهى قدر يسير من المال ، لا يفرض إلا على الرجل الحر القادر على الكسب[٣] : فلا جزية على صبى ، ولا على امرأة ، ولا على فقير غير معتمل ، كما أنها لا تجب على أهل الصوامع ، وهى عند الحنفية ثمانية وأربعون درهما على الغنى كل سنة ، وأربعة وعشرون على المتوسط ، واثنا عشر على الفقير؛ وعند الشافعى أقلها ، وهو دينار ، وأكثرها غير محدود ، وذلك بحسب ما يصالحون عليه . وقال قوم : ليس لهم قدر معين ، وإنما هو متروك لاجتهاد الإمام[٤]

واختلف العلماء فى سبب أخذها منهم[٥] ، وأقرب الآراء ، وأولاها بالترجيح ما رآه العالم المحقق السيد محمد رشيد رضا ، من أنها واجبة للدفاع عنهم وحمايتهم من الاعتداء عليهم ، كما يفهم من سيرة أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهم أعلم الناس بمقاصد الشريعة ، وأعدلهم فى تنفيذها ، فمن ذلك ما كتبه خالد بن الوليد لصلوبا بن نسطونا ، حينما دخل الفرات : « هذا كتاب من خالد ابن الوليد لصلوبا بن نسطونا وقومه ، إنى أعاهدكم على الجزية والمنعة فلك الذمة والمنعة ، وما منعناكم فلنا الجزية ، وإلا فلا » ، وذكر البلاذرى فى فتوح البلدان ، والأزدى فى فتوح الشام — أن الصحابة رضوان الله عليهم ردّوا ما أخذوه من أهل حمص من الجزية ، حين اضطروا إلى تركهم لحضور وقعة اليرموك لعجزهم عن الدفاع عنهم فى ذلك الوقت ، فعجب أهل حمص نصارام ويهودهم أشد العجب من ردّ الفاتحين أموالهم إليهم .

ذلك ، وقد أوصى الإسلام بأهل الذمة خيراً ، أوصى ببرهم ، والإحسان إليهم ، وحرم ظلمهم ، أو أخذ شىء منهم بغير حق ، كما أنه لم ينه المسلمين عن معاملة مخالفيهم فى الدين — بالقسط والبر ، وإن لم يكونوا أهل ذمة إذا لم يقع منهم عدوان ولا بغى ، قال الله تعالى[١] : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم ، وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين ، وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على إخراجكم — أن تولوهم — ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون» ، وروى داود عن صفوان بن سليم عن عدة من أبناء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آبائهم — أن رسول الله قال : « من ظلم معاهداً أو انتقصه ، أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ شيئاً منه بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة »[٢] .

وجاء فى كتاب لعمر بن الخطاب أرسله لعمرو بن العاص عامله على مصر (وإن معك أهل ذمة وعهد ، وقد وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وأوصى بالقبط فقال : « استوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحماً » ، ورحمهم أن أم إسماعيل منهم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته فأنا خصمه يوم القيامة » فاحذر يا عمرو أن يكون رسول الله لك خصما ، فإنه من خاصمه فالله خصمه » .

---

(١) هم الذين أقاموا بين المسلمين ، ورضوا بحكمهم ، مع بقائهم على دينهم ودفعهم الجزية .

(٢) الوحى المحمدى ص ٢٦٠ ، ٢٦١ من الطبعة الثانية .

(٣) يشترط فى وجوبها الذكورة والحرية والبلوغ باتفاق راجع بداية المجتهد .

(٤) بداية المجتهد لابن رشد

(٥) راجع تفسير القرطبي

(١) فى سورة الممتحنة .

(٢) الجزء التاسع من تفسير القرطبى ص ١١٥ مطبعة دار الكتب .

وجاء فى كتاب آخر أرسله عمر بن الخطاب إلى أبى عبيدة ابن الجراح قوله فى شأن أهل الذمة « وامنع المسلمين من ظلمهم والإضرار بهم ، وأكل أموالهم إلا بحقها ، ووف لهم بشرطهم الذى شرطت لهم فى جميع ما أعطيتهم » .

أدرك المسلمون الأولون من هذه النصوص وغيرها ، ومن تعاليم الإسلام وسمو مبادئه — مدى رحمة الإسلام وعطفه على مخالفيه من الذمة والكتاب — ما استقاموا على الطريقة ، ونأوا عن الإثم والعدوان — فلم يعرف عنهم اضطهاد لهم فى دينهم ، ولا حرمان لهم من حقوقهم ، واستخدمهم الخلفاء الأمويون والعباسيون فى ترتيب دواوين الخراج ، وترجمة علوم اليونان ، وقربوا النابغين منهم ، واعتمدوا عليهم فى شفاء عللهم ، بل عدهم المسلمون عضواً فى هيئتهم الاجتماعية ، يحافظون عليه ، كما يحافظون على أنفسهم ، وساسوهم بالعدل والرفق ، وأشركوهم معهم فى مرافق الدولة ، وكان شعارهم — حيال أهل الذمة — «لهم ما لنا وعليهم ما علينا» ، وهى سياسة عادلة رحيمة ، جعلت المؤرخ الاجتماعى جوستاف لوبون يقول : ما رأيت فاتحاً أعدل ، ولا أرحم من العرب .

(البحث بقية)

حسن أحمد الخطيب

هول تعقيب

الحديث المحمدى

الأستاذ محمود أبو رية

لما أجمعت النية على نشر كتاب عن « حياة الحديث المحمدى » بعد أن جمعت مواده وهيأت فصوله — قدرت أن هذا الكتاب ستضيق به صدور الذين يكرهون التحقيق فى البحث ، والاجتهاد فى الفهم ، والحرية فى الفكر ؛ ولا يرون العلم إلا فيما أخذوه عن شيوخهم تلقيناً ، والاستمساك بما وجدوا عليه آباءهم غثاً كان أو سميناً .

وقد وقع ما قدرت ، فلم تكد تبدو فى أفق « الرسالة » لمعة عن هذا الكتاب حتى انبعث « حشوى »[1] فى إحدى صحف العوام ينضح علينا من رضاع ملكته سباً وشتماً وسفاهاً ، فلم نعره التفاتاً ، لأن المناقشة بين العلماء لا تكون إلا بعلم وبرهان ؛ أما الفحش والسفه والسباب ، فهى أداة الجاهل الذى أعوزته الحجة واستعصى عليه الدليل ، ولا يصح أن يتخذ الجهول فى البحث قريناً .

ولما قرأت فى العدد ٦٤٢ من « الرسالة » كلمة الأستاذ محمد محمود أبوشهبة رأيتها تنزع إلى الحق وتطلبه ، وهى وإن كانت قد حملت بعض مآخذ — تجاوزنا عنها — تستحق العناية ، وتستأهل الرد :

١ — قلت فى كلمتى التى نشرتها بالرسالة : إنى وجدت بعد البحث والتنقيب أنه لا يكاد يوجد فى كتب الحديث كلها حديث قد جاء على حقيقة لفظه ومحكم تركيبه . فجاء الأستاذ أبو شهبة يسأل عن مبعث هذا الحكم ، وبعد أن يسلم بأن من الأحاديث ما روى على المعنى قال : « ومن الأحاديث ما (اتفقت) الروايات على لفظها ! وإن لم تصل إلى درجة المتواتر ، ومن الأحاديث ما لا يشك متذوق للبلاغة أنها من كلام أفصح العرب » . كأنه يقول : إن هناك أحاديث كثيرة (معروفة) قد جاءت على كمال صياغتها كما نطق الرسول بها ، فبدت تحمل مزايا نظمها واتساقها وأسرار بلاغتها ، وخصائص ألفاظها ومعانيها .

ونحن لو سلمنا جدلا بأن هناك أحاديث — قد اتفقت الرواة على لفظها لأنا لم نقف على إحصاء صحيح لها ، فإنه لا يصح اعتبارها ولا الاستشهاد بها ما دامت — كما يقول هو عنها — لم تصل إلى درجة المتواتر ، ذلك بأنه ما دام شرط التواتر لم يتحقق لها فإنها تصبح فى حكم الآحاد الذى لا يعطى إلا الظن ، والظن سواء أكان فى اللفظ أم فى المعنى لا يغنى من الحق شيئاً .

ومن هنا كان استشهادنا بكلمة الشاطبى وقولنا : إنه لا يكاد يوجد حديث قد جاء على حقيقة لفظه ومحكم تركيبه ، وقد سبقنا إلى هذا القول ابن الصلاح فقال فى المتواتر : « إنه لا يكاد يوجد

(١) لم يدع هذا الحشوى علماً من أعلام الفكر والعلم والبيان إلا ناله بنصيب من سفهه ، وقد بلغ من جهله أن بسط لسانه فى الأستاذ الامام محمد عبده وعما قاله فيه (أن له موبقات مكشوفة ...) .

فى رواياتهم ومن سئل عن إبراز مثال لذلك فيما يروى من أهل الحديث أعياه تطلبه » .

على أنا نزيد الأمر توكيداً فنسوق بعض ما قاله أئمة النحو فى سبب عدم إثبات القواعد النحوية بألفاظ الحديث ، لأنها لم تتواتر عن النبى .

قال السيوطى فى الاقتراح : وأما كلامه صلى الله عليه وسلم ، فيستدل منه بما ثبت أنه قاله على اللفظ المروى ، وذلك نادر جداً ، وإنما يوجد فى الأحاديث القصار على قلة أيضاً[1] ، فإن غالب الأحاديث مروى بالمعنى ، وقد تداولها الأعاجم والمولدون فرووها بما أدت إليه عبارتهم ، فزادوا ونقصوا وقدموا وأخروا وأبدلوا ألفاظاً بألفاظ ... ومن ثم أنكروا على ابن مالك إثباته القواعد النحوية بالألفاظ الواردة فى الحديث .

وقال أبو حيان فى شرح التسهيل : قد أكثر هذا المصنف من الاستدلال بما وقع فى الأحاديث على إثبات القواعد الكلية فى لسان العرب ، وما رأيت أحداً من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقة غيره . على أن الواضعين الأولين لعلم النحو المستقرئين للأحكام من لسان العرب : كأبى عمرو بن العلاء ، وعيسى بن عمر والخليل ، وسيبويه من أئمة البصريين ، والكسائى والفراء على بن مبارك الأحمر ، وهشاماً الضرير من أئمة الكوفيين ، لم يفعلوا ذلك ، وتبعهم على هذا المسلك المتأخرون من الفريقين غيرهم من نحاة الأقاليم كنحاة بغداد وأهل الأندلس ... » وقد قالوا : « إنما ترك العلماء ذلك لعدم وثوقهم بأن ذلك لفظ الرسول ولو وثقوا بذلك لجرى مجرى القرآن فى إثبات القواعد الكلية ، وإنما كان ذلك لأمرين :

أحدهما : أن الرواة جوزوا النقل بالمعنى ، فتجد قصة واحدة قد جرت فى زمانه صلى الله عليه وسلم ، ولم تنقل بتلك الألفاظ بعينها نحو ما روى فى قوله : (زوجتكها بما معك من القرآن ، ملكتكها بما معك ، خذها بما معك) ، وغير ذلك من الألفاظ الواردة فى هذه القصة[2] ، فنعلم يقيناً أنه صلى الله عليه وسلم لم يلفظ بجميع هذه الألفاظ ، بل لا نجزم بأنه قال بعضها ، إذ يحتمل أنه قال لفظاً مرادفاً لهذه الألفاظ غيرها فأتت الرواة بالمرادف ، ولم تأت بلفظه ، إذ المعنى هو المطلوب ، ولا سيما مع تقادم السماع وعدم ضبطه بالكتابة والاتكال على الحفظ ، والضابط منهم من ضبط المعنى ، وأما ضبط اللفظ ، فبعيد جداً لا سيما فى الأحاديث الطوال . وقد قال سفيان الثورى : إن قلت لكم إنى أحدثكم كما سمعت فلا تصدقونى إنما هو المعنى !

الثانى : إنه وقع اللحن كثيراً فيما روى من الأحاديث ، لأن كثيراً من الرواة كانوا غير عرب بالطبع ، ولا يعلمون لسان العرب بصناعة النحو ، فوقع اللحن فى كلامهم وهم لا يعلمون ذلك ، وقد وقع فى كلامهم ورواياتهم غير الفصيح من لسان العرب ، ونعلم قطعاً من غير شك أن رسول الله كان أفصح الناس ، فلم يكن ليتكلم إلا بأفصح اللغات وأحسن التراكيب وأشهرها وأجزلها ...

وقال ابن الأنبارى فى الإنصاف فى منع (أن) فى خبر كاد ، وأما حديث كاد الفقر أن يكون كفراً ، فإنه من تغيرات الرواة لأنه صلى الله عليه وسلم أفصح من نطق بالضاد .

ومن قول الشاطبى فى شرحه على ألفية ابن مالك :

« ... إن النحاة يستشهدون بكلام سفهاء العرب وأجلافهم وبأشعارهم التى فيها الخنى والفحش ولا يستشهدون بالحديث . ثم روى عن أبى حاتم عن الجرمى أنه أتاه أبو عبيدة معمر بن المثنى بشىء من كتابه فى تفسير غريب القرآن الكريم قال : فقلت له عمن أخذت هذا يا أبا عبيدة ، فإن هذا تفسير خلاف تفسير الفقهاء؟ فقال : هذا تفسير الأعراب البوالين على أعقابهم ! فإن شئت فخذ وإن شئت فدع ... ثم قال : ولا أعرف لابن مالك سلفاً إلا ابن خروف[1] .

نجتزئ بما نقلناه من أقوال هؤلاء الأئمة ، لأن الكلام فى ذلك يطول :

---

(١) كما سنرى فى الحديث الآتى .

(٢) لهذا الحديث — الذى لا يزيد عن ثلاث كلمات صيغ أخرى غير التى أوردها أبو حيان : انكحتكها بما معك ... أملكتكها بما معك ... كحتكها على أن تقرئها وتعلمها الخ قال ابن دقيق العيد هذه لفظة واحدة =

= فى قصة واحدة واختلف فيها مع اتحاد مخرج الحديث ، وقال الدلائى من المعلوم أن النبى لم يقل هذه الألفاظ كلها فلم يبق إلا أن يكون قد قال لفظة منها وعبر عنه بقية الرواة بالمعنى . وللفقهاء فى ذلك اختلاف كبير . راجع فتح البارى ج ٩ ص ١٧١ وما بعدها .

(١) كان مالك يرى الاستشهاد بالحديث ولم يشاركه فى ذلك إلا ابن خروف

٢ — عرض الأستاذ لقولنا إن المعانى قد ظلت تتوالد ، والألفاظ تختلف باختلاف الرواة . فاتفق معنا فى اختلاف الألفاظ وتباين الأساليب ، وخالفنا فى توالد المعانى ... ونحن لا نتوسع بالرد عليه فى ذلك ، لأن فيما أوردناه من كلام أئمة النحو واللغة غناء ، فقد أثبتوا أن الرواة قد زادوا ونقصوا وقدموا وأخروا وأبدلوا ألفاظاً بألفاظ ، ولحنوا وأخرجوا لفظ الحديث عن القياس العربى ، فإذا لم يكن فى ذلك كله توالد للمعانى ، فمن أى شىء إذن يكون هذا التوالد ؟ !

ويقول الأستاذ : إنه كان يجب منا « أن نقرأ فى كتب الرجال ، وبخاصة الصحابة والتابعين ، لنعرف ما خص الله به هؤلاء القوم من حافظة قوية وذاكرة وقادة .

وما كان يجب الأستاذ منا قد قمنا به ، بل زدنا عليه ، فقد أبدينا النجعة فى مطارح البحث ، حتى انتهينا إلى منطقة وجدنا فيها أن الصحابة كانوا يرغبون عن رواية الحديث ، بل كانوا ينهون الناس عنها . ومما ألفيناه من أسباب ذلك أنهم كانوا يخشون أن تحوتهم هذه الحافظة (القوية) فيروون الحديث على غير ما نطق به النبى فيبدو وقد أصابه التحريف أو الزيادة أو النقصان ! وهم لم يكونوا يروون ما يروون عند سماعه ولا بعد سماعه بقليل ، وإنما كانوا يفعلون فى المناسبات ، وقد لا تتهيأ هذه المناسبات إلا بعد سنين طويلة ، فكان كل صحابى يروى ما يجده فى ذهنه من معنى الحديث الذى سمعه من النبى (ص) أو من أحد أصحابه أو من أحد التابعين ، إذ لم تكن رواية الصحابة موقوفة على ما يسمعونه من النبى فحسب ، فيعبر عنه بألفاظ من عنده ومن هنا جاءت رواية الحديث الواحد بألفاظ مختلفة .

وإلى الأستاذ بعض الأمثلة مما عثرنا عليه فى بحثنا :

جمع أبو بكر الصديق الناس بعد وفاة نبيهم وقال لهم : إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها ، والناس بعدكم أشد اختلافاً ، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً ، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه . ونسى عمر حديث تيمم الجنب ، وعلى أن عماراً قد ذكره به فإنه لم يذكره !

وقال عمران بن حصين : والله إن كنت لأرى أنى لو شئت لحدثت عن رسول الله يومين ولكن بطأنى عن ذلك أن رجالا من أصحاب رسول الله سمعوا كما سمعت وشهدوا كما شهدت ويتحدثون أحاديث ما هى كما يقولون وأخاف أن يشبه لى كما شبه لهم فأعلمكم أنهم كانوا يغلطون وأنهم ما كانوا يتعمدون !

وقيل لزيد بن أرقم حدثنا عن رسول الله فقال : كبرنا ونسينا والحديث عن رسول الله شديد . وكان عبد الله بن مسعود — وهو من هو — يتغير عند ذكر الحديث عن رسول الله ، وتنتفخ أوداجه ويسيل عرقه وتدمع عيناه ويقول ، أو قريبا من هذا ! أو نحو هذا ، أو شبه هذا . كل ذلك خوفا من الزيادة والنقصان أو السهو والنسيان . وسأل مالك بن دينار ميمون الكردى أن يحدث عن أبيه الذى أدرك النبى وسمع منه فقال : كان أبى لا يحدثنا عن النبى مخافة أن يزيد أو ينقص !

ولهذه الأخبار نظائر كثيرة أوردنا طائفة صالحة منها فى كتابنا .

وعلى أن الأستاذ قد اعترف بأن رواية الحديث بالمعنى كان لها ضرر من الناحيتين اللغوية والبلاغية فانه قد منع أن يكون لها ضرر من الناحية الدينية . ونحن نعجب أن يخفى على مثله هذا الأمر وهو مشهور بين الفقهاء جميعاً .

وإذا كان الكلام فى ذلك يطول فإنا نحيل الأستاذ إلى ما كتبه العلامة نجم الدين الطوخى فى آخر كتابه (صفة الفتى) وإن أبى إلا أن يرى أمثلة على ذلك من بعض الأحاديث ليعرف ما جرى فيها من خلاف بين الفقهاء — ولا شىء أضر من الخلاف — بسبب رواية الحديث بالمعنى ؛ فليرجع إلى حديث استفتاح الصلاة بسورة الفاتحة ، وإلى الحديث الذى أوردناه من قبل وهو (زوجتكها بما معك) .

٣ — تكلم الأستاذ عن الحديث الذى قلنا إنهم استجازوا به وضع الحديث وهو : إذا لم تحلوا حراماً ولم تحرموا حلالا — وأصبتم المعنى — فلا بأس . فقال : وهذا الحديث بعضه لا يدل على الوضع ! وإن فى قوله وأصبتم المعنى ما يدل على أن الحديث قيل تجوزاً للرواية بالمعنى !

ولم يقل أحد إن بعض هذا الحديث صحيح ، وبعضه الآخر موضوع ! وإنما ذكر الجوزقانى وابن الجوزى أنه موضوع . ولو أن هذه العبارة التى قضى الأستاذ بصحتها كانت معروفة

صحابة لمنعت من تحرج من تحرج منهم من رواية الحديث ! ولرفعت ذلك الخلاف الكبير الذى وقع بين العلماء فى جواز رواية الحديث بالمعنى وعدم جوازها .

على أنه قد وردت أحاديث صحيحة تقطع بأنه صلوات الله عليه ما كان يريد إلا أن تروى أحاديثه على حقيقة لفظها مهما تحرى الراوى فى إصابة معانيها ، ولم يكن ليشدد فى عدم استبدال لفظ بلفظ فحسب وإنما كان يضرب عليه ، فقد روى أصحاب السنن هذا الحديث : نضر الله امرأ سمع مقالتى فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع » . وهذا الحديث القولى قد أيده النبى بسنة عملية ؛ فقد روى البخارى وغيره عن البراء بن عازب أن رسول الله علمه دعاء يقوله عند ما يأتى مضجعه ، ومن هذا الدعاء : « آمنت بكتابك الذى أنزلت وبنبيك الذى أرسلت » فقال البراء يستذكر علمه النبى « وبرسولك الذى أرسلت » فقال له النبى « وبنبيك الذى أرسلت » وفى بعض الروايات فطعن فى صدره وردده إلى رواية الصحيحة . ومعلوم أن اللفظ الذى جاء به البراء يؤدى المعنى وأكثر ، فهو بهذا قد أصاب المعنى ولكن النبى لايريد ممن روى عنه إلا أن ينقل كما سمع .

٤ — ويقول الأستاذ عن كلمة (متعمدا) التى جاءت فى بعض روايات حديث من كذب على: إن القاعدة عند المحدثين أنه إذا تعارضت الروايات رجح الأكثر والأقوى ، وهنا ترجح رواية ذكر اللفظ ويحمل المطلق على المقيد ! !

ولا نطل القول فى مناقشة هذه القاعدة ولا فى طلب الدليل على هذا الأكثر والأقوى ! ! وإنما نقول إن علماء الحديث قد جعلوا للترجيح اعتبارات متعددة ، منها اعتبار الاسناد ، ومنها اعتبار المدلول وغير ذلك . وقالوا فى اعتبار الإسناد إن رواية أحد كبار الخلفاء ترجح على غيرها ، وكذلك ترجح رواية من كان فقيهاً ومن كان أكثر مخالطة للنبى الخ ورواية هذا الحديث بغير كلمة (متعمدا) قد نالت كل اعتبارات الترجيح فقد رواها ثلاثة من الخلفاء الراشدين وهم كبار فقهاء الصحابة وأكثر مخالطة للنبى ، والزبير بن العوام — وهو من هو يؤيد روايتهم ورواية غيرهم من كبار الصحابة ويقسم بأن النبى لم يقل هذه الكلمة ، وفى سنن ابن ماجه عن الليث بن سعد عن ابن شهاب عن أنس ابن مالك قال رسول الله من كذب على — حسبته قال متعمداً فليتبوأ مقعده من النار . ورسالة الشافعى[1] التى هى الأصل الأول لعلم الأصول ومؤلفها أقرب إلى معين السنة الصافى قد ورد فيها هذا الحديث بصيغ كثيرة لم يأت فى واحدة منها كلمة (متعمدا). وابن قتيبة الذى قالوا إنه لأهل السنة كالجاحظ للمعتزلة لم يوردها فى كتابه (تأويل مختلف الحديث) الذى دافع فيه عن رجال الحديث إلا بغير هذه الكلمة . على أن الأقرب إلى العقل السليم والأشبه بخلق النبى العظيم أن تكون الرواية التى جاءت بغير هذا اللفظ هى الصحيحة ، والتى يطمئن بها القلب ؛ لأن الكذب هو الكذب .

٥ — ذكرنا فى كلمتنا أن تدوين الحديث قد تقلب فى أدوار أربعة ، فكان فى أول أمره مشوباً بغيره من أقوال الصحابة فى التفسير وغيره من مسائل دينية أو طرق أدبية الخ مما كانوا يعنون بجمعه وتدوينه على طريقة العصر الذى وقع فيه التدوين من غير ترتيب ولا نظام إلى أن جاءت طبقة ابن جريج الخ » فقال الأستاذ من أين وصلنا إلى ذلك ! ونحن نذكر له بأن كل من درس تاريخ التدوين فى الإسلام وبخاصة فى عصر بنى أمية يعرف ما عرفنا ويصل إلى ما إليه وصلنا ، وإذا أراد أن يقف على (طفولة التدوين الإسلامى) فليرجع إلى مظانه ، ولكى لا نشق عليه بكثرة البحث فى المصادر الكثيرة نحيله إلى أدنى المصادر إليه : الجزء الثانى من كتاب ضحى الإسلام للاستاذ الكبير أحمد أمين بك . والجزء الثالث من تاريخ التمدن الإسلامى لجورجى زيدان بك .

٦ - قال الأستاذ فى أول مقاله إنه تتبع الحقائق التى وصلت إليها فوجد أن فيها ما يجافى الحقيقة ! ولم يكن مبنياً على دراسة عميقة ! . راجعة إلى مصادر الحديث الأصلية ! ! ولا يؤاخذنا الأستاذ بما نصارحه به من أنه قد تعجل فى الحكم وأسرع فى القضاء ، ذلك بأنه لم يقرأ الكتاب كله ولا درس مواده وفصوله ، ولا عرف مراجعه وأسانيده ، وكل الذى رآه منه إنما هو (لمعة ضئيلة عنه) وقد كان عليه إذا آثر الحق والعدل أن يستأنى فى

(١) راجع ١٠٨٩ — ١١٠٠ من الرسالة تحقيق وشرح الأستاذ الفاضل الشيخ أحمد محمد شاكر

الملجأ الاسلامي الأول

في عهد النبوة

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

لله أنت يا رسول الله يا سيد المصلحين وإمام المشرعين ، لقد مضى على أتباعك المسلمين قرون طويلة مظلمة حجبت عنهم محاسن شريعتك ، وجعلتهم ينظرون إليها فيها وعلى أبصارهم غشاوة من الجهل ، فتبدلت أوضاعها عندهم ، وانحرفت عن سبلها المستقيمة إلى سبل معوجة ، وصار كل شيء صالح فيها إلى فساد ، وكل نظام جميل فيها إلى اختلال ، وكل مظهر نشاط فيها إلى كسل وخمول ، والإسلام دين إصلاح ونظام ، ولا بد لنا في نهضتنا الحاضرة من أن نرجع به إلى عهد نهضته ، حتى لا يعوق المسلمين عن النهوض عائق من ناحية دينهم ، وتسير فينا النهضة الدينية إلى جانب النهضة الدنيوية ، متعاونتين في الوصول بنا إلى الإصلاح المنشود

وها نحن أولاء نعالج الآن مشكلة السُّولة[1] التي انحرفنا فيها عن أوضاع ديننا معالجة مدنية ، ونضع في ذلك الأوامر تلو الأوامر ، والنواهي تلو النواهي ، فلا يفيد في ذلك علاج ، ولا ينقطع السُّولة عن هذه الحرفة الدنيئة ، لأنا نقتصر في ذلك على علاجها من ناحية القانون الوضعي ، ولا نحاول علاجها من ناحية الشرع السماوي ، ليعلم الناس أن دينهم لا يبيح لهم هذه الحرفة الدنيئة ، فيكف السُّولة عن تعاطيها ، ويكف الذين يتصدقون عليهم أيديهم عنهم

لقد ذم النبي صلى الله عليه وسلم هذه الحرفة وشدد في الوعيد عليها ، ومدح الذين يتعففون عن سؤال الناس . ومما ورد في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان ، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ، ولا يُفْطَنُ به فَيُتَصَدَّقُ عليه ، ولا يقوم فيسأل الناس . وقوله أيضاً : لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها خيرله من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه ، وقد

(١) السولة : الكثير السؤال

الحكم ويتمهل في إبداء الرأي حتى يطلع على ذلك كله ثم يصدر بعد ذلك حكمه .

٧ — وفي ختام مقالته جاءت عبارة غريبة لا أدري كيف أرسلها ، ذلك أنه يقول ، إن مما يحتاج إليه عالم الحديث (الرحلة في سبيله إلى من أحاط به خبراً ! !) .

وإني ولا مراء في الحق لم أكد أفهم ما هي هذه الرحلة التي يحتاج إليها علم الحديث في هذا العصر ! وكذلك لم أعرف إلى أي الأقطار تكون ؟ ومن هم أولئك الذين قد أحاطوا بعلم الحديث خبراً حتى نرحل إليهم ونأخذ عنهم !

إني لم أكد أعرف من ذلك كله شيئاً ، وإنما الذي أعلمه أن طلاب الحديث في القرون الأولى هم الذين كانوا يحتاجون إلى الرحلة ليتلقوا الأحاديث من أفواه الرجال إذ كانت سلسلة الرواية في هذه القرون متصلة ، والحفاظ يومئذ هم أوعية الحديث لا يوجد إلا عندهم ولا يؤخذ إلا عنهم ، أما الآن وقد انقصمت هذه السلسلة بتدوين الحديث وأصبحت الكتب هي المراجع الصحيحة للحديث — وهي من كل طالب على حبل الذراع — فإن هذه الرحلة قد صارت لا حاجة إليها ولا غناء فيها . على أن عهد الحفظ نفسه قد انقطع أثره منذ قرون ، حتى قالوا إنه قد ختم بالحافظ ابن حجر ، وانقضى على أثره عهد المحدثين .

وإذا كان الأستاذ أبو شهبة لا يرضى إلا بالرحلة فإني قد قمت بما يرضيه ورحلت في سبيل تصنيف هذا الكتاب إلى جميع الأقطار وقضيت في هذه الرحلة سنين طويلة اختلفت فيها إلى مئات من العلماء والمحدثين والأصوليين والمؤرخين ومن إليهم[1] ممن يؤخذ عنهم ويستفاد منهم لكي يأخذ كتابي حظه من التمحيص والتدقيق وقد اصطنعت في سبيل التلقي عنهم الصبر والأناة حتى ظفرت منهم بما أرجو أن يكون عملي به موفقاً صالحاً إن شاء الله ، وما آمل أن يجد فيه كل من ينشد العلم والحق ما يحبه ويرضاه .

محمود أبو ريه

(١) بلغت أسانيد هذا الكتاب أكثر من مئة وخمسين كتاباً وبعض هذه المراجع يقع في أجزاء تبلغ العشرات وهذا غير ما نقلت عنه هذه المراجع وسيحمل كتابي أسماء هذه الأسانيد كلها إن شاء الله

عالج الإسلام هذه المشكلة بعد منعه لها معالجة إيجابية ، لأنه لا يصح أن يمنع المحتاجين من السؤال ويتركهم يتضورون جوعاً ، أو يشقون فى الحياة بجانب غيرهم من أهلها ، فسَنَّ الصدقة وفرض الزكاة على الأغنياء ، وجعل من وظيفة الحكومة جمع الزكاة من أهلها ، وصرفها على من يستحقها من الفقراء ونحوهم ، فوقاهم بذلك ذل السؤال ، وحفظ لهم كرامتهم ، لأنهم لا يأخذونها من الحكومة امتنانا ، وإنما يأخذونها حقاً تقتضاه لهم من الأغنياء ، وتقوم فيه بوظيفة الوسيط بينهم .

ولما هاجر المسلمون من مكة إلى المدينة منعهم المشركون أموالهم فى مكة ، فأصابهم من ضيق العيش فى المدينة ما أصابهم ، وعانى كثير منهم من شدة الفقر ما عانى ، وهم أبناء سادة قريش وأشرافها ، ولا تسمح لهم عزتهم وكرامتهم أن يمدوا أيديهم إلى الناس بالسؤال ، فأنشأ لهم النبى صلى الله عليه وسلم ملجأ يجمع شتاتهم ، واختار له مكاناً متواضعاً بمسجد المدينة ، وكان موضعاً مظللاً من ذلك المسجد ، فسماه من أجل ذلك سُفَّةً ، واشتهر أمره بين أصحابه بأهل الصفة ، وكانوا نحواً من أربعمائة رجل من مهاجرى قريش ، لم يكن لهم مساكن فى المدينة ولا عشائر ، فآواهم النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك المكان ، وكان بهذا أول ملجأ اتخذ للفقراء فى الإسلام .

وكان لهذا الملجأ نظامه فيمن يدخله من الفقراء ، فكان يدخله منهم إلا الفقير الذى لا يستطيع ضرباً فى الأرض يكسب ، فلا يجد من كسبه ما يغنيه عن قبول الصدقة فى هذا الملجأ من المسجد ، وقد جاء هذا الشرط فى وصف الله تعالى لفقراء المهاجرين الملجأ فى الآية — ٢٧٣ — من سورة البقرة (للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضرباً فى الأرض ، يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم ، لا يسألون الناس إلحافاً ، وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم) .

وكان من نظامه أن جُعِلَ مدرسة لأولئك الفقراء ، وكان مدرسة ليلية يتعلمون فيها القرآن وغيره من العلوم ، لأن لهم عملا فى النهار سيأتى بيانه بالنهار ، وبذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم أول من جعل من الملاجئ مدارس ، لتكون دور علم وتعليم ، وينتفع الناس بها فى دينهم ودنياهم ، ولا يذهب ما يتصدقون به عليها سدى .

وكان من نظامه أن جعل لهم عملا بالنهار ينفقون منه على أنفسهم ، ولا يكلهم إلى الصدقة التى يتصدق بها عليهم ، لأنها لم تكن مورداً دائما ، بل كان من عنده فضل من المسلمين أتاهم به إذ أمسى ، ولأن الإسلام دين عمل وجهاد ، فلا يرضى لفريق من أهله أن يقعد عن العمل ، ويتكل على ما يتصدق به عليه الناس . فكانوا يخرجون بالنهار فيجمعون النوى ، ثم يرضخونه ويبيعونه لأصحاب الجمال .

وكان من نظامه أن جعل منهم جنداً للمسلمين ، فكانوا يخرجون فى كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى كل غزوة يغزوها بنفسه ، فيكون شأنهم فى ذلك شأن كل مسلم ، ولا ينقطعون إلى ملجئهم كما ينقطع الرهبان إلى صوامعهم .

ولقد قام هذا الملجأ يؤدى عمله على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم تولى الخلافة أبو بكر رضى عنه فأبقاه على حاله التى كان عليها ، ثم تولى بعده عمر رضى الله عنه ، فاتسعت فى عهده الفتوح ، وفتحت للمسلمين خزائن الفرس والروم ، وصارت أسباب الغنى سهلة ميسرة ، فأمر رضى الله عنه بإغلاق هذا الملجأ ، وأمر أهله أن يسلكوا تلك السبل الميسرة للغنى ، لأنه لا يرضى بالفقر إلا أهل الخمول والكسل ، والدنيا دار جهاد وعمل .

ومن ينظر إلى نظام هذا الملجأ يجد أنه هو النظام الذى تأخذ به الأمم الحديثة فى ملاجئها ، لأنه هو النظام الذى يتفق وأسباب المدنية التى تأخذ بها ، ولكن المسلمين حين انحرفوا عن دينهم بعد ضعفهم ، تغير نظرهم إلى هذا الملجأ كما تغير نظرهم إلى غيره من أمور دينهم ، فاتخذوه أساساً لما أنشأوا فى تلك القرون المظلمة مما سموه تكايا وخانقاه ، وأخذ أهلها من الصوفية يتمسحون بأهل ذلك الملجأ ، ويزعمون أن اسمهم مشتق من الصُّفَّةِ التى كانوا يأوون إليها ، على بعد ما بين اسمها واسمهم ، وعلى بعد ما كان من نظام أهلها ونظامهم ، وعلى أنه كان نظاماً زال بزوال سببه ، ولم يرضه عمر رضى الله عنه لأهله ؛ ومثل عمر يؤخذ الدين عنه .

عبد المتعال الصعيدى

الحيـــاة الادبية في الحجاز

تتمة النهضة السعودية

للأستاذ أحمد أبو بكر ابراهيم

الخطابة :

لقيت الخطابة عناية فائقة من أدباء الحجاز فى العهد الأخير ، فسلكت طريقها إلى النهوض ووجدت فى المجتمعات والأندية تشجيعاً دَفَع بها إلى الأمام ولكنها مع ذلك لا تزال عنـــد الحجازيين متأخرة عن الكتابة لأنها لا تروج إلا فى الرجّات العنيفة التى تساق إليها الشعوب ولا تنمو إلا فى ظل الخلافات المذهبية والسياسية ، والحجاز — كما يعلم الناس جميعاً — آمن هادئ لا تتوزعه القلاقل ولا تثور به الخلافات ، ثم إنه بعيد عن التحزب والحزبية ولا يعرف معنى المنافرات والمذاهب السياسية وهى التى تؤجج نيران الخطابة وتبعث فيها القوة والحياة .

ولعل الذى بعث فى الخطابة الحجازية بعض الحياة فى العهد الأخير إنما هو نشاط الشبان ومساعدة أولى الأمر من الساسة وقادة الفكر ؛ فهم يهتمون بالأندية الأدبية التى تقام فى المدن الكبيرة ويولونها من عطفهم وعنايتهم ويعهدون لها السبيل لأداء مهمتها على الوجه الأكمل ، فسمو الأمير فيصل والشيخ محمد سرور الصبان وغيرهما لهم أياد محمودة فى تشجيع القائمين بها ، فهم يشعرونهم دائماً بالعطف والتكريم ؛ ولهذا نرى هذه النوادى جادة ناشطة ، ونرى القائمين بها يحددون يوماً من أيام الأسبوع يجتمعون فيه حيث يستمعون إلى خطبة جيدة أو محاضرة قيمة حتى إذا ما انتهى القائل علقوا على كلامه بالنقد أو الإعجاب .

وليس فى الحجاز من ألوان الخطابة غير خطب المحافل والخطب الدينية ، ولعل أولاها أرقى من الثانية ؛ إذ تقال فى مناسبات التكريم وفى المحافل التى تكثر فى الحجاز فى موسم الحج وفى الدارس فى المناسبات الكثيرة .

والخطب الدينية فى الحجاز أقل من خطب المحافل ؛ فلا تكاد تعدو خطب الساجد . ويظهر أن الحالة الدينية هناك لا تدعو إلى هذا اللون من الخطب : فالناس هناك منصرفون إلى العبادة ، بعيدون عن الانغماس فى الشهوات ، وإنما يلقى هذا النوع من الخطابة رواجاً فى المجتمعات التى يحيد الناس فيها عن جادة الصواب فيجد الوعاظ عندئذ مجالا لدعوتهم ومحلا لمظاتهم ، فلا يكاد الزائر يسمع هناك إلا الخطب التى تلقى فى الحرمين والمساجد الأخرى فى الجمع والأعياد .

وقد كان الارتجال غير معروف إلى عهد قريب فى الحجاز ، ولكن العهد السعودى الذى شمل كل ناحية بالقوة خلق فى الناشئين من الخطباء الاعتداد بالنفس فارتجلوا فى المناسبات الاجتماعية خطباً لها مكانتها الأدبية .

ولا بد لى أن أشير هنا فى هذه الكلمة إلى أثر « المذياع » فى الخطابة ، فهو — وإن توهم بعض الناس أنه قليل الخطر — ذو أثر فعال فى هذا الفن من الأدب ، فقد كان فى السنين الأخيرة حلقة الاتصال بين لهجات الشرقيين : فى النطق والمواقف ومقاطع الكلام ، ولهذا تجد المحدثين من خطباء الحجاز يتأثرون الخطباء المصريين فى مواقفهم وطرائقهم ، على حين تجد القدامى منهم يختلفون عنهم فى الأداء واللهجة ، وما ذلك إلا لأن الحديثين نشأوا يستمعون إلى خطباء مصر فقلدوهم وتأثروا خطاهم ، ولم يستطع القدامى مجاراتهم فى هذا السبيل بعد أن سلخوا عهداً طويلا وهم على طريقتهم الأولى .

الصحافة :

لم يكن للصحافة خطر كبير قبل العهد السعودى وإن صدر بعضها قبله ، فلما كانت الحيـــاة الجديدة فى ظل جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، نشطت حركتها وأخذت تناضل فى سبيل الأدب والإصلاح الاجتماعى ، فكان يصدر منها إلى عهد قريب صوت الحجاز وأم القرى والمدينة المنورة وغيرها ، وكان بجانب هذه الجرائد بعض المجلات التى تتناول الموضوعات العلمية والأدبية كمجلة المنهل لصاحبها الأستاذ عبد القدوس الأنصارى ، وقد قرأت حديثاً فى كتاب « ماذا فى الحجاز » للأستاذ محمد أحمد جمال أن هذه الصحف قد عطلت بسبب غلاء الورق ولم يبق منها

هذا العـــالم المتغير

[تصيب الذبحة الصدرية صفوة أبناء العالم ، فكيف وفق الأطباء المصريون إلى اكتشاف علاجها ؟]

من وصفة بلدية : علاج للذبحة الصدرية

للأستاذ فوزى الشتوى

في حضرة عزرائيل — وصفة بلدية — جهل يقود العلم — نجاح باهر — وتقدم العلاج أيضاً — عقبات

في حضرة عزرائيل :

جاءته الأزمة كما عرفها ، فأوى إلى فراشه وقد نسى مهمته التي ارتدى من أجلها ملابسه ، يرى زوجه وبنيه يهرعون إليه بأكاليل الطبيب ، فيتناول الجرعات في سكون ، وهو يحس بتلك النغصة في صدره ، ويشعر بحاجته الماسة إلى تنفس عميق ، فلا يقوى على الزفير أو الشهيق ، لأنهما يضاعفان الألم ويقربانه من عزرائيل وهو يطوف بفراشه . فيكتم الزفير ويمنع الشهيق إبقاء على سعادة أسرته ، فأى مصير يحل بهم إن أتم عزرائيل مهمته في إحدى تلك الأزمات ؟

ربما ينفذها في هذه الأزمة ، وربما ينفذها في مرة تالية ، وقد يهادنه مدة طويلة . ولكن أحمد بك كان يحس بجناحي ملك الموت تصفقان حوله كلما واتته أزمة الذبحة الصدرية ، فيشفق على سعادة أسرته أكثر مما يشفق على نفسه !

وفي كل مرة كان ينظر إلى عقاقير الأطباء ، فيعجب لعجزها ، وتتولاه الدهشة لقصر يده ويد الطب عن إزالة غمته ، واستقرار أمنه ، ومستقبل عائلته . لم يدخر أحمد بك — كما حلا لي أن أسميه — وسعا في استشارات الأطباء والخضوع لوصاياهم ، فقلل من نشاطه كما أمر ، وداوم استعمال العقاقير ، وهو يعرف

جريدة « أم القرى » وهي لسان حال الحكومة السعودية .

وكانت هذه الجرائد والمجلات مع اجتهاد أصحابها المحمود نايتهم المشكورة لا تزال بادئة ناشئة : فالجرائد لا تصدر إلا كل سبوع أو نصف أسبوع والمجلات لا تصدر إلا كل شهر .

وكان الحجازيون يدركون هذا الضعف فيها ويودون لو تنهض اير زميلاتها في الأقطار العربية ، وفي ذلك يقول الأستاذ الحميد عنبر : « من حسنات العهد السعودي هذه الروح حافية القوية التي نراها في أطراف البلاد ، فقد شجعت حكومة لة الملك عبد العزيز الصحافة في الحجاز وأعطت امتيازات لعدة ئد ومجلات صدر منها البعض وتوقف ، وبعضها لا يزال يصدر الآن ، ومنها ما أعطى امتيازه ولم يصدر حتى الآن . ونحن لِمَ لم يصدر ما أعطى امتيازه ؟ ولِمَ توقف عن الصدور ان صادراً ؟

ذلك لأن الصحافة لم تستقر لدينا على أساس قوى وأنها في ة إلى تنظيم ، كما أنها في حاجة إلى صحافيين مدربين يستطيعون ا الجماهير ، وغرس المبادئ الوطنية والأخلاق الرفيعة في هم » .

ويرى الأستاذ محمد جمال كذلك : أن في الحجاز تربة صالحة للصحافة ولكن ينقصها رجال الصحافة الماهرون .

ويبدو لي أن الصحافة في الحجاز لا تسمو إلى المنزلة التي ترجوها لها إلا إذا توافر لديها المال الكثير الذي تؤمن به حياتها وتقوى نواحيها المختلفة ؛ فيكون لها بعد ذلك مراسلون في الأقطار المختلفة يوافونها بأخبار العالم ، ويشترك في توجيهها طبقة متمرنة من صحافيي العرب في الأقطار الأخرى حتى تشتد وتقوى ، وعندئذ نأمل لها الفوق والرواج ؛ فالتشجيع الحكومي قائم ، ولم يبق إلا العمل مع الأخذ بالأسباب .

وأهم ما تعنى به الصحف الحجازية النواحي الاجتماعية والأدبية والأخبار المحلية وبعض ما تقتطفه من حوادث العالم نقلا عن الصحف الكبرى . ويمتاز أسلوبها بالهدوء والاتزان ؛ فلا نجد فيها تلك الثورة الجامحة التي نجدها في صحف مصر نتيجة للخلافات الحزبية الكثيرة ، فإذا كان هناك من حماس فني بعض مقالات النقد الأدبي والإصلاح الاجتماعي .

(تم البحث)

أحمد أبو بكر ابراهيم

أنها قد تأتيه بشر آخر ، لأن الطب لم يعرف علاجاً أو مسكناً يهدئ العلة بغير أن يترك أثراً جديداً مؤذياً !

وهو يدرك تمام الإدراك أن العقاقير التي يتناولها تزيد ضربات قلبه وتضعفه ، وتقلل ضغط الدم ، وتجهد عضلات القلب قبل أن تؤثر على الشرايين التاجية للقلب ، وتكسبها السمة اللازمة لمرور كميات الدم اللازمة للحياة . فالذبحة الصدرية علة تصيب هذه العضلات ، فتجعلها تنقبض وتضيق وتمنع مرور كميات الدم اللازمة لتغذية القلب ، فتعرقل مهمته .

وصفة بلدية :

وأحد بك كسواه من الطبقة المثقفة النشطة القليلة الإيمان بالوصفات البلدية : قدمت إليه زوجه مغلى بذر الحلة مرات ليجرب ، فنظر إليها ساخراً أن يفلح الجهلة فيما فشلت فيه علوم الطب . سمع أحاديثها ، وقصص جيرانه ومعارفه مرات عن فائدة بذر الحلة في شفاء الذبحة الصدرية ، فلم يصدق أن الطب عمى عن رؤيتها . وقالوا له : جرب ، فلن تخسر شيئاً . فأجابهم وأقنع نفسه بأنه قد يأتي لنفسه بعلة جديدة قد تكون أقوى وألعن .

واستشار أطباءه ، فرأى في عيونهم نظرات السخرية والاحتقار ، وقرأ فيها أمارات اللوم ، لأنه يقبل أقوال الجهلاء والعامة . ولكن العلة كانت شديدة الإلحاح ، فلا يكاد ينفعل ، أو يبذل جانباً من نشاطه حتى تفاجئه ، فتأتيه في مكتبه ، وفي الطريق ، وفي بيته أيضاً . فخشي أن ينفذ ملك الموت مهمته في غفلة منه ، ودفعته فظاعة الألم وحب الحياة لأن يجرب ، ولا سيما أن كثيراً من معارفه يتعاطونها ، فلم تحدث لهم من مضاعفات كما يتوهم .

وأخيراً ، استسلم وأقبل على تناول مغلى بذر الحلة وهو يتجاهل طعمه الكريه ، ويتحمله في صبر ؛ فإذا العلة تهادنه ، وإذا النغصات المؤلمة تبتعد عنه ، فتقصى شبح عزرائيل واصطفاق جناحيه . واستمر بضعة أسابيع ، فاسترد حالته المعنوية ، وأحس في وصفته البلدية بسر جهله الطب وأنكره ، أو سخر منه !

مجهل يقود العلم :

فقصد إلى طبيبه واثقاً من توفيقه ، متوقعاً أن يسمع عبارات السخرية ، وأن يرى نظرات اللوم . ولكن الطبيب لم يكن أقل دهشة منه لما رآه في حالته من تحسن ملموس ، ولما وجده فيه من إيمان ويقين . ومن ثم بدأ الكشف العلمي يزيح الستار عن عقار جديد وعلاج فعال للذبحة الصدرية التي تفتك بالصفوة المختارة من أبناء العالم كله . فهي لا تصيب في الغالب سوى الطبقة المفكرة الشديدة النشاط ، والكثيرة الحساسية والإدراك .

واحتضن الكشف العلمي ثلاثة من أطباء كلية الطب وهم : الدكتور آرب أستاذ علم وظائف الأعضاء ، والدكتور فناوى في الأمراض الباطنية ، والدكتور شفيق برسوم من مدرسي علم وظائف الأعضاء أيضاً . وتكاتف ثلاثتهم لاستطلاع السر الجديد وإجراء أبحاثه وتجاربه منذ سنة ونصف ، فاستخرجوا المادة الفعالة نقية خالصة من المواد الغريبة ، وأطلقوا عليها اسم « الخلين » .

واختبروا فعلها في الكلاب الضالة فيحقنونها بالبنج حتى تستغرق في رقادها العميق . وعندئذ يفتحون قفصها الصدري ويكشفون عن القلب والرئة ، ثم يقيسون مقادير الدم الواردة إلى القلب عن طريق الشرايين التاجية ، فإذا هي عادة تتراوح بين ٣٠ إلى ٤٠ سنتمتراً مكعباً في الدقيقة . ويحقنون الشرايين بمادة الخلين في جرعات تتراوح بين ملليمترين وعشرة ملليمترات ، فإذا بالدم الوارد إلى القلب يتضاعف ثلاثة أمثاله في الحالات العادية ، وإذا الشرايين تتسع ويستمر أثرها في الكلاب لمدة ثلاث ساعات .

نجاح باهر :

ولكن هذه النتيجة وحدها لا ترضي البحث العلمي الدقيق فأي أثر آخر يتركه الخلين على الأوعية التي يمر بها ؟ وماذا يصيب القلب وعضلاته ؟

واكتشف أطباؤنا نجاحاً باهراً ، فإن الخلين لا يؤثر إلا على العضلات الملساء للشرايين التاجية ، وهي العضلات التي تسبب الذبحة الصدرية . أما عضلات القلب كما يقول الدكتور فناوى فلا تتأثر . وكذلك القلب ذاته لا يتضخم ، كما أن استخدام الخلين لا يؤدي إلى انخفاض ضغط الدم كما يحدث عند استخدام العقاقير الطبية المعروفة . وقد سجلت نتائج هذا البحث بالموجات الكهربائية مما يوضح تأثير العقار .

ومعنى هذا أن الطب وفق إلى عقار بالغ القدرة على اتقاء شر بحة الصدرية بدون أن يترك أثرا . أضف إلى ذلك أن تأثيره الإنسان يختلف عن تأثيره على الكلاب لأن مفعوله فى نسان يتراوح بين ٢٤ ساعة إلى ٤٨ ساعة تبعا لحالة المرض والمريض

وقد انتقل البحث فتناول الإنسان . ويعالج به الآن حوالى س وسبعين حالة أدى علاجها إلى نجاح باهر فى ٧٠ حالة . ان نجاح خمس منها ضعيفا . ويرجع سبب ضعفها إلى تقدم ض وإلى أن تصلب العضلات وصل إلى درجة التيبس نتيجة كبر السن أو اقتران الذبحة الصدرية بمرض السكر أو غيرها ن العوامل .

تقدم العلاج أيضاً :

وتقدمت أبحاث العلاج أيضا فان الخلين مادة لا تستسيغ بس مرارتها ، فجرب استعماله فى أقراص (برشام) ، وفى حقن لى فى الدم . والخلين لا يزيل المرض نهائيا ولكنه وقتى التأثير ى الآن . ويتعاطى المريض مقادير منه تبعا لحالته . ولكن بل قوى فى أن يصل البحث إلى العلاج النهائى ؛ فقد لوحظ بعض الحالات شفيت نهائيا ، واستغنى المريض عن مواصلة لاج . والمهم أن يوالى المريض استخدام الخلين حتى لا يصاب بات الذبحة ، حتى تستعيد العضلات حالتها الطبيعية بالتدريج .

ونوبات الذبحة الصدرية أو أزماتها تفاجىء مريضها فى أوقات لفة ، وتتراوح مدتها من نصف دقيقة إلى ٢٠ . وقد تصيبه ة فى اليوم ، كما أنها قد تصيبه بضع مرات . وهى غالبا تحدث أثر أى إجهاد سواء أكان عقليا أم جسمانيا .

وتكثر الإصابة بالذبحة الصدرية فى الفترة التى نسميها صف العمر نتيجة لكسل بعض الغدد عن أداء وظيفتها مما بب تصلب الشرايين . وبرغم أن نسبتها كبيرة فى مصر إذ تبلغ ٠/٠ من المرضى من الطبقة النافعة ، فان مصر تعد أقل بلاد لم فى انتشار هذا المرض الذى يموت بفعله حوالى ٢٠٠/٠ من ناء نتيجة لهبوط القلب أو انقباض العضلة .

أما فى الخارج فالإصابة بالذبحة الصدرية شديدة الإنتشار مما جعل اكتشاف العقار من المسائل العالمية فاهتمت به الدوائر العالمية ، ونشرته كبريات الصحف الطبية ، مرحبة باستخدامه كعلاج ناجع لمرض مستعص .

ويقدر العنصر الهام من بذر الخلة بنسبة ٣ ٠/٠ ، أما البـاقى فشوائب وجد أن بعضها يترك أثراً ضاراً بالكلى .

عقبات :

ولم تمر فترات البحث حتى الآن سهلة لينة ، بل اعترضته عقبتان كادت أولاهما توقف البحث فى مراحله الأولى . فعندما أريد استخلاص مادة الخلين من بذر الخلة تحطم جهاز التقطير . وواجه الأطباء معضلة إحضار جهـاز آخر . وطريق الواردات ممنوعة أو مستحيلة . ولكنهم أقبلوا على صنع جهاز جديد ، فاستعاضوا عن الزجاج بالمعادن ، وأدخلوا عليها من التعديلات ماجعل الجهاز أصح استخداما ، وأجدى نفعا من الأصلى .

وفى المرة التالية توصلوا إلى المادة التى يذاب فيها الخلين ، ولكنها كانت قليلة وأوشكت على النفاد من القطر المصرى كله ؛ ولكن الحظ واتاهم فتطوع بعض مندوبى مصر إلى مؤتمر المدل الدولى لإحضارها من أمريكا ، واشتروها فعلا . ولكنهم لاحظوا عند العودة أن الحقيبة التى تحملها ناقصة فأبرقوا إلى المحطات التى مروا بهـا حتى عثروا عليها وأعادوها لأصحابها وهم فى المطار يستعدون لركوب الطائرة إلى مصر .

وهكذا قدمت مصر للعالم بحثـا طبيا بالغ النفع لأنه يحتفظ للعالم أجمع بصحة صفوة أناسه ممن خبروا الحياة ، ويساهمون فى بناء الدنيا بأكبر قسط . كما قدمت أيضا لباحثينا مادة جديدة لأبحاث يانعة توارثناها مئات الأجيال فى وصفاتنا البلدية التى طالما احتقرناها . ولو أنصف علماؤنا لأحتضنوها فلا يتركون منها واحدة حتى يثبت البحث العلمى الدقيق ضررها فما لا شك فيه أن شوائبها كثيرة وواجبهم تنقيتها .

فوزى الشنوى

فى مآتم الأشـــواق

للأستاذ محمد العلائى

[إلى طه حسين ، والمازنى ، والعقاد ، والزيات ، إلى الصديق سيد قطب ، إلى هؤلاء أولا ، إلى أدباء العربية ثانياً أقدم هـذه الأوحة المشبوبة ، وهى : مواقد أشواق تسامت بلهيبها أوهام الليل ، وترامت على ضوئها مخاوف الرحيل ، فباركتها بدعائى ، وأحرقت فيها مواهبى ، ثم تنفس الفجر فصفقت بقداستها سخرية اليقين ، واختنق شيطانها بأريج السلام ... فارعت إليها واطمأنت بأفنانى] :

تذكرتُ أيامى ودارَ متـــاعبى
ومَشرق أحـــلامى ومَسرى مواهبى

تراءى لنـــا الماضى ولاحت معاهدٌ
تعلّيت أوهامى بهـــا وتجـــاربى

ومأساتُنا الأولى هناك تنزلت ... علىٰ بدار الشمس قبل النياهب
وراحت توافينى بكل كريهةٍ ... وتقذف ألوان القذى بمشاربى
وتفجر ما بين الضلوع تزيفُها ... لنغمة شادٍ أو لآهـة نادب
لها كلَّ يوم فى الشروق مناحةٌ ... وأوجع منها عند زحف المغارب
ظلام الضحى أبلى جديدى وعاقنى
وبيّض فى شرخ الشـــباب ذوائبى

وأطفأ منى القلب فى ميعة الصبا ... وبنّم أفراحى وأذوَى رغائبى
وحجّبنى بين اللدّات فكلهم ... لعوبٌ وهذا منزوٍ غير لاعبِ
وأخرج من أدنى القلوب محبتى ... فأمى لا ترجو بقائى ولا أبى
وأشهدُ أنى كنتُ نورَ عيونهم ... وكنت عزيز الدار نجم الملاعب
ولكن أمراً والزمان أراده ... فلست على أهل الزمان بعاتب
تناسيتُ إلا محنتى ومواجعاً ... تُقلّبها الساعات بين جوانبى
ورحلتنا الأولى ويوم تضاحكت ... أمانى أساريرُ المنى والمطالب
ولاح رجاء واطمأنت مشيئتى ... بطالع يمن فى جبين الكواكب
فأجمت أمرى لا أخاف على غدى ... لقاء العوادى أو ركوب المصاعب
وخلفتُ أحباباً ورائى وأنفساً ... يعزُّ عليها غربتى ومتاعبى
وتحنو على ضعفى وترحم جرأتى ... وتخشى على حظى عثار المراكب
وقلت وداعاً وانتهجنا سبيلها ... وسرنا بأرض الله ذات المناكب
وكانت ليـــالٍ ثم أشرف ركبنا
على شاطىء الصحراء مثوى العجائب

ســـلامٌ على دار المنـــايا وأهلها
من ابن سبيل أشمت الوجه شاحب

يروم الغنى فيها ويبغى كنوزها ... ويرجو بها ظلا وضجعة لاغب
طلبتُ على جهل سواء سبيلها ... وأنسيت حظى والتفاف المشاعب
وكلفنى ما لا يراد توهمى ... وشفّت أحاسيسى بروق المغايب
وأشربت حب الخير حتى أضلنى ... وشبّه معوجاً بآخر لا حب
وغشّى على عقلى فأكبرت نافها ... وسُمْتُ البلايا رغبةً فى المكاسب
وران على نفسى صـــداها فعانقت
— لها الله — أمواج السراب المكاذب

وخايلها يمٌّ غرورٌ فأزلقت ... بأنعس ثغر فيه أشأم قارب
أسائل مَنْ حولى وليسوا نواطقا
وليسوا ســـوى أشباح غرقى رواسب

وتُؤذِن بالرجمى نوايا عُبابه ... وأين وما بالشط مرسى لراكب
أمامى سدود كالقضاء ومفزعى ... إلى غُصص مشبوبة وكوارب
وأفنى السُّرى زادى ومائى ولم أجـــد
بهـــا مستقراً واستدارت مذاهبى

وضـــاق بوَعثاء الطريق تفكرى
ومسّت شعورى موبقات السباسب

وضمّت على أدهى من اليأس أضلعى
وناءت بأثقـــالى ظهور النجائب

وأرّقنى خوف المصـــير ولم أعُد
أطيقُ الدياجى وارتجـــافَ الهواجر

فأخرجت من صحبى كريماً يودنى ... وذا بصرٍ يومَ الشدائد ثاقب
وملّكته أمرى فكان دليلها ... وسيرت ركبى خلفه غير ناكب
وسِرْتُ زماناً مُغمَض القلب سادراً
تُلِمُّ بى الذكرى وأحـــدو ركائبى

وأخشع أحياناً أحيّى مقابراً ... دفنت بها أهلى وبعض صواحبى
وأسمع للصحراء جُنّت رياحها ... وردّت على الموتى نُواحَ الأقارب
وأهوى مع الآفاق جسماً مفرغاً ... وروحاً أتاه الموت من كل جانب
وبعد أعاجيب تراءت كنوزها ... وراء ضباب كالدجى وسحائب

وأذّن حادي الركب : لا همّ نعمةً
ونادى بيوم طافح البشر واهب
فصدقتُ مأخوذاً وجئتُ وصيدَها
أغالُ خوفاً واندفاعةَ راعب
وأشعلت مصباحي فلما تكشفت عرفت نصيبي عند بيض المواقب
ودُرتُ كمنشيّ عليه وحيدا
تمالكت أنفاسي ابتسمت لصاحبي
وقلت جزائي يوم خدّر مسمعي منجم سوء بالأماني الكواذب
وأيضاً جزائي يوم حمّت بصيرتي وملكت أمري خائباً وابن خائب
فقال : مقادير ولما تنزل
وقمتَ وخابَ الحزمُ يا ابن التجارب
وعدتُ كأن الأرض حولي مآتمٌ
وليس عليها غيرُ باكٍ وناعب
أصانع أبناء السبيل وأشتكي تعثر أقدامي ورعشة غاربي
أراودُ يأسي والقضاء كخاتم وأسبحُ في بحر مخيف وناضب
أباعدُ عن نفسي حقيقة رجعتي وأجبر بلواها بشتى العصائب
وأحكي رؤاها في مضاجع ذابل ينام على جنبين صادٍ وساغب
ومرّ بما أبكي رحيلا مُرَزَّءاً جنيت الردى منه وشوك الجادب
ولاحت على مرمى العيون مواطني تحيةَ مشتاقٍ وفرحة آيب
هي الجنة الأولى وفيها منازلٌ تنسمتُ أهلي بينها وحبائبي
وفاح شذاها من بعيدٍ فهزني وذكّرني عهد الصّبا ومآربي
وهاج زماناً كالربيع فشاقني تَرَنّح آصالي بها ومغاربي
وأنهارها تحت الظلال جواريا وفلكي عليها بين طاف وراسب
تموج بما فيها كأن غصونها على شنب ما بين راضٍ وغاضب
هي الجنة الأولى وتحت سمائها رأينا تباشير المنى والشبائب
مجالان هذا للشراب وللندى وذاك لأفراح الهوى والكواعب
وقلبان في صدري أروح بجامد وأغدو بمنساب الإرادة ذائب
يفزعني مَسُّ اليقين ولونه وأومن مسحوراً بما هو رائبي
أميل مع الأهواء وسنان حالماً مكانٌ يناديني وآخر جاذبي
وقلتُ سأنسى في رُباها مَهالكاً
أضلّت صوابي واستباحت مضاربي
ولكن دخلناها فيا بؤس جنتي ويا بؤس إيماني وبؤس مثاوبي

هي الجنةُ الأولى ولستُ بتائه فهذي مغانيها وتلك ملاعبي
رجعنا إليها بعد همّ وغُربة وبعد ملمّات أشبن ذوائبي
وهأنا فيها لا ضميري صاحك ولا أملي بين الرياض بوائب
على بابها اليمون ظلّ كآبةٍ
وفي الساحة الكبرى عبيرُ النوائب
وأشهى جناها ليس فيه مذاقُه
وكوثرُها — لا كان — جمُّ الشوائب
وأشجارها الموتى غصون تهدّلت
وكانت عناقيد الثمار الأطايب
وأزهارها صُفرٌ عليها مَذَلّةٌ وأطيارها مبحوحة كالنوادب
وما كان منها دافقاً ردّ ماؤه وصاحبها أمسى وليس بصاحب
مرابعها جفّت وراحت أجادبا وكانت مزاراً للحيا والسواكب
خمائلها محزونةٌ وسماؤها تميلُ بأشباه النجوم النوارب
ومالت أعاليها وزارت رُبوعها عواصف شتى بين ساف وحاصب
تحوّل عنها أهلها وتناوحت بأبهى مجاليها ظِلاء النواعب
وجوهٌ كأحداث الزمان مخيفةٌ أطلت عليها من قصور خوارب
وتلك التي بالأمس كنا نُريدها ونسأل عنها كلّ آتٍ وذاهب
هي الجنة الأولى وكنتُ أمامها أحس بأن الكون بين جوانبي
وأشهدُ آفاقاً كباراً وعالماً عرفتُ به قلبي وأولى مجائبي
ونادمتُ أشواقي هنالك مواسماً أجِدُّ وألهو بالظنون اللواعب
وأرسلتُ أحلامي وراء غُيُوبه أخاف وأرجو مُبهمات العواقب
وفي النفس أهواء وفيها مواجد وفيها تهاويلٌ سدَدْن مذاهبي
وفيها تسابيحٌ لعرش أظلّني وفيك قيودي واستفزّ مواهبي
وألهمني حتى كأني مُنَوَّمٌ أزال حجاب السر عن كل غائب
وأنطقني حتى نطقتُ أضالعي ستعلن أسراري وتُفشي مآربي
وأسكتني حتى تجمّد خاطري وماتت بأعراق اللسان غرائبي
وغيّر حالاتي وصنّى مشاعري أحس كمخدور وأهذي كشارب
وأغرى بأسباب الحياة نوازعي وحرّكَ أوهامي وأذكى رغائبي
ونضّر أجوائي فأضحت خمائلا يفوح شذاها من صبا وجنائب
وتحظى بما دون القليل مطامعي فتُشرق آمالي وتصفو مشاربي
وأصبح والدنيا بصدري مباهج وأمسي وأفلاك الزمان مواكبي
هي الجنة الأولى وبات نسيمها روائح أنقاضٍ ودوجَ منادب

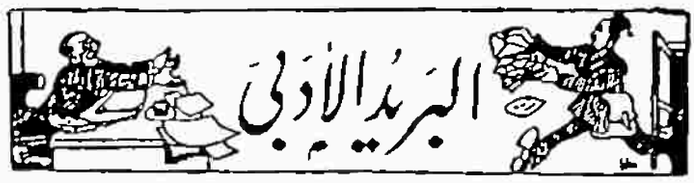

عزها . . .

أقول — ومن أصعب الأشياء توضيح الواضح — إن الشاعر شبه خفقان قلبه الوجاب بارتجاف القطاة السكينة وقد عزها الشرك (أي غلبها وقهرها) شبه حالة قلبه بحالتها (وقت مغلبة الشرك إياها) فاضطرابها الشديد هذا وتلك المجاذبة إنما هما من تلك الغلبة لا من الفر ولا من الجر ؛ فما ارتعشت حين غرت وما كان ذلك الاضطراب العظيم لما جرت ، ولكن تتابع اضطرابها حين استمكن الشرك منها وغلبها وقهرها ورامت الافلات منه . وإنه لينادي على أن اللفظة (عز) لا غيرها هو ما جاء بعدها : « فباتت تجاذبه وقد علق أو غلق الجناح » ولو لم يكن هذا الحرف المروى ما كان أبو العباس أعلن في (كامله) تلك الشهادة : « قد قال الشعراء قبله وبعده فلم يبلغوا هذا المقدار » وبلفظة يقوى ويسمو بيت وبلفظة يهوى ورحم الله قائل الشعر ورواته ، أبا تمام ، وأبا العباس وأبا الفرج وغيرهم ، وشارحيه أبا زكريا التبريزي وأبا علي المرصفي[1] وغيرهما ممن لم تصل إلينا شروحهم . ورحم مخالف من شعر ، ومن روى ، ومن شرح الأديب العبقري (الرافعي) ، وهم العبقريون يشذون ويخالفون ، وحيهل بخلافهم وشذوذهم ! ويا طول حزن العربية وعجلتها على حجة الأدب وأديب العربية حقا (مصطفى صادق الرافعي) ، ومد الله في عمر الأديب العالم الباحث الأستاذ الشيخ محمود أبو رية المصري السلم الكريم الفضل .

السهمي

الى الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق :

الآن ، وقد سكنت تلك المجاجة واستنارت الشبهة بذلك للناس وصرح الحق عن محضه — يحق لكل من ينشد الإصلاح

(١) رغبة الآمل ج ٥ ص ١٥٠

معالمها ليست كأمس وإن هفت ... عليها ظلال من أمان ذواهب
وأمست خلاء غير ماض يعودها ... وريح كأنفاس الخطوب الأشايب
سلامٌ عليها يوم كانت رياضُها ... مشارقَ أفراحٍ وقبلةَ راهب
سلامٌ عليها يوم أطفأ نورها ... وغشّى زواياها نسيج العناكب
تعلمت من هذا الزمان ولم أكن ... لأعلم لولا واصبٌ بعد واصب
هضمنا الليالي واعتصرنا بلاءها ... وعريت أجسادَ المنى والنوائب
وقلبت في جدِّ الحياة وهزلها ... وما عفت إلا مائعات الصائب
وناجلت أقداري وكانت مريرة ... فعدت بما شاءت سليباً كسالب
وأدهى من الحالين سِلْمٌ تنالها ... بوجدان مغلوب وبسمة غالب
وملت إلى ظلِّ السلام فأطمعت ... سماحة إغضائي ضعاف التعالب
وأبلغ رُزْءِ أن تكون فريسةً ... لأقواه ما ليست ذوات مخالب
وقاومت دهري فاستحاني ضميره ... ولما يحذرني طريق العاطب
وباصرته فازورَّ عني حسانه ... وألقى برزاياه حيال مساربي
حياةٌ وليست بالقليل وإنما ... يقلل منها كل أعزل هارب
خِضَمٌّ من اللذات يلمن موجه ... لغيف من الغرقى ضعاف المناكب
هي الكأس يحلو مُرُّها لمعاقر ... ويجزع منها كلُّ غرٍّ مجانب

كرهنا على عجز ولم نر غيرها ... وعند بلوغ اليأس خلق المآ
حياةٌ وموتٌ ليس بعدُ حقيقةٌ ... وليس سوى هذين معنى لحاس
رسائلُ شتى والضمير مغيَّبٌ ... وإغراء مطلوب وشهوة طال
ومُعترَكٌ والحظ يعرف أهلهُ ... وأنات مغصوب وتعليل غاص
نصيبي مقدور فما اخترت موطني ... وما اخترت أني قبل ذاك ولا أ
حبيب إليّ العيش رغم توجعي ... ورغم شعوري بالفجيعة ناص
ورغم انطوائي لا أضاحك غايةً ... ولا أمنحُ الدنيا بشاشة راغ
أصَمُّ وفي أذنيَّ وقرٌ وإنني ... لتخرق سمعي هامسات النوا
وأبكم لا أفضي وأنّى لمنطق ... وأسمى نواديهم صريرُ جنا
بأنفسهم عَوْراتُ سوءٍ تردُّني ... وتخجلُ وجداني فأغضي كهاذ
وأرحمهم مما تكنُّ صدورهم ... وأرثي لأبناء الأذى والعقار
وأسفرت ما يرجون حتى زمانهم ... ودنيا غوانيهم وعُليا الرا
وأوصدت باب المجد لما تكشفت ... أمامي أربابُ العُلا والمناص
وأسأمني دهرٌ يَمُرُّ عجيبُه ... وأعجبُ منه ماثلٌ في تجار

(القاهرة)

محمد العدلوني

أن يتوجه إلى جليل مقامك ليفضى إليه بما يريد .

تعلم — يا سيدى الجليل — أن الأزهر ظل قروناً ممتسفاً فى طريقه ، مكبلا بجموده ، قائما على طريق أبعدته عن أداء ما عليه ؛ فهو فى الدين لم يكشف بعد عن جليل أسراره لينشرها ، ولم يبين عقائده الصحيحة التى جاء بها ، ولم يستطع أن يثبت أن أحكامه الصائبة تساير نظام الإجتماع فى كل زمان ومكان . وفى الدنيا لم يشارك سائر الجامعات العلمية فى جميع أرجاء الأرض بقليل أو كثير فيما يتخذ من أسباب ونظم لإصلاح العمران . ولقد نهض أستاذك الإمام محمد عبده رحمه الله منذ أكثر من نصف قرن ليعمل على إصلاحه ، ويجعل له مقاماً يعلو به فاصطلحت عليه قوتان تعارضانه وتصدان عن سبيله ، أولاهما من كان بيدهم الأمر يومئذ ، والأخرى الموقون من الشيوخ الذين تراهم فى كل زمان لا يعملون صالحاً ، ولا يقبلون إصلاحاً ، فقضى رحمه الله ولما يقض ما كان يحبه ويصبو إليه .

وجاء الإمام المراغى فكان كل ما رأيناه فى عهده أن تحرك الأزهر (فى مكانه) ولم يستطع الشيخ رحمه الله على كثير مما نى أن يزحزحه أو يخطو به ، — واليوم — يلقى أمر هذا المعهد العظيم على عاتقك والمسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها ينظرون إلى ما سيكون شأنه فى عهدك ، ويرقبون تحقيق ما يأملونه على يدك . وإنك اليوم للمرجو والمسئول بين يدى الله وأمام العالم الإسلامى عن إصلاح هذا المعهد وتقويم ما اعوج منه ، فامض فى هذا السبيل بقوة وعزم ، واحشد لما تتخذ من ذرائع وما تبتغى من أسباب صادق العزم . ولا تن فى ذلك فقد توافرت فيك — ولك — كل أسباب الإصلاح وعوامل النجاح . فأنت فى نفسك من الفضل والعلم والكفاية بأعلى مناط العقد ، وأمامك الفاروق يأخذ بيدك فى الإصلاح إلى أقصى حد ، ووراءك الصفوة المختارة من طلاب الأزهر وشيوخه — والأمة جميعا معهم — يؤيدونك فى كل قصد ، حتى يبلغ الأزهر مكانته اللائقة به بين جامعات الأمم ، ويفاخر بحق بأنه كان أول جامعة شقت حجب الجهالة بين العرب والعجم .

أيها الأستاذ الجليل : لقد انشرحت صدور المسلمين جميعا بتوليك مقاليد أمور الأزهر وتمنوا أن يكون الله قد استجاب فيك دعوة أستاذك الإمام التى دعا بها قبل موته حيث قال :

فبارك على الإسلام وارزقه مرشدا
رشيدا يضيء النهج والليل قاتم
يماثلنى نطقاً وعلماً وحكمة
ويشبه متن السيف والسيف صارم

فحقق أيها الإمام المصلح رجاء المسلمين فيك ، وانهض بما كان أستاذك سينهض به من قبل والله معينك وكافيك .

محمود أبو ريه

حول كلمة « تاجيك » « Tadjik » :

قرأت فيما أنا متصفح للرسالة الغراء مقالة : « العرب » للدكتور جواد على فرأيتها بحثاً طيباً ، وتحقيقاً شاملا ، يشكر عليها الدكتور شكراً جزيلا .

وانتهت بى القراءة إلى فقرة من فقرات البحث يشرح فيها الدكتور لفظة « Taits » وما طرأ عليها من تغير وتطور وكيف أطلقت على العرب إلى أن قال :

« ونقل الفرس هذه الكلمة بصورة محرفة تحريفاً يلائم لغتهم فقالوا « تاجيك » « Tadjils » و « Tawih » و « Tawi » فى العهد الأخير » مستنداً إلى مصدر .

وعلى أى حال نحن واجدون ههنا مجالا للتحقيق فنقول :

يطلق الفرس هذه الألفاظ الثلاثة « تَاجِيكْ » و « تَاوِكْ » و « تَاوِىْ » على المغول الذين غزوا إيران فبغداد فى القرن السابع الهجرى ، ويطلقونها أيضاً على بعض القبائل الشمالية فى إيران فيقولون : « تُرْكِ تاجِيكْ » . وأما العرب فيعرفون عند الفرس بهذى اللفظة « تَازِىْ » « Tazi » ومعناها حرفياً « صحراوى » إذ أن لفظة « تَازْ » « Taz » تعنى فى اللغة الفارسية الأرض القفرة الخالية . ولما اشتهر العرب بأنهم قوم « صحراويون » أطلق عليهم الفرس هذه اللفظة بعد أن أضافوا إليها ياء النسبة فقالوا « تَازِىْ » فالمصدر الذى استند عليه الدكتور خاطىء بناء على هذا البتة .

(نجف) ع . م . ع

من ذكريات الشباب

اجترار

للأستاذ حبيب الزحلاوى

— ١ —

قرأ أربعة رجال من نزلاء مصر خبر الحفلة التى أزمع السوريون إقامتها لتكريم رئيس الوزراء الذى قدم مصر ليشترك فى حفلة افتتاح جامعة الدول العربية ، فطاب لكل واحد منهم مشاركة مواطنيه فى هذا التكريم الدال على أن الاغتراب عن الوطن والانتساب إلى غيره لا يحدان من العاطفة الوطنية ولا يصدان عن الحدب على أبناء وطنهم الأول ، بل على العكس ، يوقظ حادث كهذا الكثير من خبايا الذكريات الكامنة الحبيبة إلى النفس ، خصوصاً ذكريات الطفولة والمدرسة والصبى .

لعل الذين اشتركوا فى حفلة تكريم الوزير السورى ، كان وجدانهم يضطرب بهذا الشعور أو ما يقاربه من أحاسيس بريئة ، إلا أربعة رجال أزعم أنهم اشتركوا فى هذا الإحتفال بدافع يخالف تلك الدوافع ، ولعلنا لو سألنا كل واحد من هؤلاء الأربعة عن السبب لعجز عن ذكره .

رأيتهم يدخلون قاعة الإحتفال واحداً إثر واحد كأنهم على ميعاد ، ولاحظت أنه ما من واحد من أعضاء لجنة الاستقبال التفت إليهم أو خصهم بكلمة ترحيب .

أهرعت إليهم وحييتهم أطيب تحية وأجلستهم مجلساً حسناً .

ما كاد أولئك السادة يطمئنون فى مجلسهم حتى التفت كل منهم إلى جليسه ثم صوبوا نظرهم إلى فكانت مفاجأة من أبهج مفاجآت العمر وأحلاها ، وكان أبهج من ذلك وأحلى أننا تعانقنا ونبكى .

كنا أصدقاء ، ولعل كلمة الصداقة تعجز عن تصوير الروابط الدموية التى كونت صداقتنا ، وقد فرقتنا حوادث جسام ابتدأت فى مستهل هذا القرن ، ولم ننج منها إلا عقب إخفاق الثورة الدرزية ، ولياذنا بمصر هذا البلد الأمين .

كنا فتياناً أغراراً يوم اقتفينا إثر زعمائنا فى مناصبة الدولة العثمانية العداء ، وكنا فى حمأة من الضلال يوم حاربنا الإنجليز فى « كوت الإمارة » وعلى ضفاف قناة السويس مع الجند العثمانى جنباً إلى جنب ، وكنا فى غمرة من الجهل يوم اقتادونا لننتظم فى جيش الخلافة نقاتل الأتراك ، وكنا فى جنون مطبق يوم قاتلنا الفرنسيين فى « ميسلون » على أبواب دمشق ، ثم لم يدركنا الرشد إلا بعيد فشل آخر ثورة دموية ، وكانت جبال الدروز ميداننا لآخر قتال اشتركنا فيه بعد حرب العصابات فى « غوطة » دمشق .

مرت بذهنى صور تلك الحادثات ، وتذكرت أياما قضيناها فى السجون ، تارة مجتمعين وتارة متفرقين ، أما الليلة ، أى بعد مضى حوالى ثلاثين عاما ، فقد جمعتنا مصادفة من مصادفات المناسبات لتكريم الوزير السورى الأول ؛ الذى ساير ولابد حياتنا الجهادية تلك التى فتحنا عليها أذهاننا قبل أن تفتح لأنوار المعرفة عقولنا .

هل يعرفنا الوزير ؟ هل نعرف الوزير ؟ من من شهود هذا الحفل الحاشد يعرفنا ؟ ! !

أسئلة ألقتها عيوننا بالنظرات ، وبالنظرات أجابت عنها ، فتفاهمنا كما كنا نتفاهم على تنفيذ أمر خطير مدبر ! فانسللنا من مكان الإجتماع متعاقبين ليضمنا مجلس هادئ نتكلم فيه على هوانا ! !

استوينا فى مقاعدنا بمقهى ندخن النارجيلة ونحتسى القهوة ، نتكلم عن ماضينا وكيف قطعنا مرحلة الشباب فى الثورات والتشرد والمحاكمات والسجون حتى وهنت عزائمنا ، وكلت هممنا فصرنا لا نصلح إلا لعلك حياتنا الماضية واجترار أحداثها .

قال أحدنا : « منذ أخفقت الثورة الدرزية بسبب اختصام زعمائها على الزعامة الكبرى ، وعلى استئثار كل فئة من المتحزبين بالأموال التى كانت ترد من هنا ومن هناك باسم الثورة ، انسللت من بين الصفوف ولذت بمصر أداوى جراحاً حملتها أوسمة لا تصدأ ولا تجد حاملها ؟ ! !

فأجابه أحدهم مازحاً : « ظننت والله أنك سبقتنا إلى العالم الآخر » . فرد عليه بلهجة جدية قائلا : أتحسب وفاء مني أن أرحل وأتركك هنا ؟

وقال آخر : لقيت السلامة في سكنى هذا البلد الذي لم يعرفنا أهله إلا عن طريق السياسة ؛ فصرت أعمل ، لا عمل المطمئن المستقر ، بل عمل إنسان « على سفر » . وبالرغم من هذا القلق المعنوي ، أسست تجارة ، وبنيت أسرة ، وتطورت ميولي الوطنية فصارت أشبه بميول المشتاق لحبيب بعيد ، واستوطنت مصر .

قال أحدهم يذكر صديقه بموقفه مع الفرنسيين وقعت لهما « برأس بعلبك » ، وذكر آخر حادثة ثانية وقعت له يوم ثورة « حماه » ، وذكر هذا واقعة جبال العلويين ، وذاك حادثة « القنيطرة » وأخذوا يذكرون حوادث لثورات أشعلوها على الإستعمار الفرنسي .

قلت وقد كفوا عن اللغط : حقا يا إخواني إن ذكرياتكم سجل لتاريخ حقبة من حياة سورية ، وإن هاتيكم الذكريات ستبقى مكتومة في الصدور ، أو مبعثرة على ألسنة الرواة ، حتى تصادف مؤرخا غير مأجور على تلفيق تاريخ لسورية ، والآن وقد جمعتنا الصادفة ، هل لكم أن تذكروا أروع حادث وقع لكم في جهادكم وأخطر موقف وقفتموه ؟

لم يدم صمتهم طويلا ، فقد انبرى واحد منهم وقال :

— ٢ —

لست أحسن التنميق ولا التزويق ، إنما أقص الواقعة كما وقعت : أخذنا الأعداء على غرة ، كانت أجنادهم في ذلك النهار عديدة ، وكانوا لوفرتهم وتراصهم هدفا لطلقات من بنادقنا لا تخطىء ولا تطيش . أخذتنا نشوة الإيمان في التقتيل ، وعلى الأخص حين رأينا طرائدنا تتلوى وتتساقط . كنا نسرف في إطلاق الرصاص ونرى رى الواثق المطمئن ، ولكني فطنت إلى نفاد ذخيرتي ، وكانت صناديق الذخيرة يحملها إلينا في متاريسنا فتيان كتموا حماستهم من شدة سرورهم بالقتال والنصر . أخذت الشمس تزول وتنحدر ، ولم أفطن إلى عطش أو جوع ، وإنما فطنت إلى نفاد ذخيرتي ، ولما التفت إلى زميل كان إلى جانبي لأستعير منه طلقات لبندقيتي ، لقيته في حالة من التوتر والإنفعال يعبر عنها بزغردات الظافر الناجي ، ولكن نشوة الظفر تلك لم تطل إذ افتقد جعبة (الخرطوش) فإذا بجيوبه فارغة ، فالتفت يطلب النجدة مني ، ولم نلبث أن سمعنا خطوات إخواننا تقترب منا تطلب قذائف .

أنى لنا بذخيرة لا نعرف لها مستودعا غير أكتافنا والصناديق ملقاة على الأرض فارغة أمامنا ؟ أجمعنا على الإفلات من العدو الذي أدرك نفاد عتادنا فأخذ يتقدم بل يسرع في الدنو منا .

عمدنا إلى خيولنا ، وكانت مربوطة في غيضة تبعد قليلا عن ميدان المعركة ، وما كدنا نقطع بها البقعة الكثيفة الأشجار حتى تبين أن أسرابا من جند الأعداء تسرع من ناحيتين لتطويقنا . أطلقنا الأعنة لأفراسنا التي إستثارتها صيحاتنا لتنجو من الرصاص المصوب إلينا من الجانبين ومن الخلف وكان يتساقط علينا كالبرد .

ليس من المغالاة في شيء أن أقول لكم يا إخواني إن الخيول تنخو كرام الرجال ، وتنتشي إذا انتصرت كطبائع الناس . إن أنس لا أنس كيف كنت أتشبث بعرف فرسي كالطفل ، وكيف ألصقت صدري بالسرج ، تاركا لها العنان ، وكيف تمهلت ثم التفتت ، ثم أطلقت صهيلا تتحدى به اللاحقين بنا ، وتندد بعجزهم عن إدراكنا ، وأخذت تمشي الهوينا متبخترة كالقادة الهيفاء .

زال عنا خطر إحداق أعدائنا بنا ، وأخذنا نفكر أين نبيت وماذا نأكل . قال أحدنا يمازحنا ، ننام حيث تنام خيولنا ، ولكن هل في وسعنا أن نأكل من زادها ؟ !

نبه مزاح صاحبنا معدنا فأخذنا نتلمسها ، وبينما نحن نلاطف معدنا الخاوية ، وإذا بأزيز طيارة يملأ الفضاء . نسينا الجوع كما نسيتنا معدنا ، وفي هنيهة وجيزة ، وبدافع من حب البقاء عمدنا إلى خيولنا ؛ فأمتطيناها على جوانبها متباعدات ، وانبطحنا بعيدين قليلا عنها .

عجباً لتلك الأفراس كيف أدركت الخطر الداهم فاستقامت كأنها خائفة مثلنا ، وكأن حب البقاء كان رائدها أيضا !

أخذت الطيارة تهبط كأنها فوقنا وتحوم حولنا . لقد كشفنا قائدها الخبيث ، رأيتها ترتفع ، ثم سمعت بأذني سكوت محركاتها ، وسمعت أيضا أزيز القنبلة في سقوطها وقد أدركت هدفها .

نزلت النازلة ورأيتها رأى العين تسقط على قيد أمتار مني ، أحسست أنا الذي ما آمنت قط بغير قدرة الإنسان ، أن كل ذرة من وجودي تهتف بقوة وضراعة تستنجد بخالق الإنسان ، وقدرت أني ورفاقي من الموت على طرفة عين .

انقضت الثواني والدقائق . لقد تفكك في عضوها كل عضو في مفاصلي إلا ذهني فقد بقي في يقظة يرتقب الموت المحتوم حين انفجار القنبلة ...

القنبلة لم تنفجر ! لم تنفجر القنبلة لأنها صادفت أرضاً رطبة !

آه ... يا للأسف ! ! صرخة صرخها أحد النفسين ، وقد خرجت من أعماق صدره ، وقد أتبعها بقوله : « والله لو انفجرت تلك القنبلة الخائبة وجرحت فرساً من أفراسكم لجزعت عليها ، ولكن الله سلم » ! ! !

(يتبع)

حبيب الزحلاوي

وزارة المعارف العمومية

الجامعة الشعبية

٩٤ شارع القصر العيني بالقاهرة

قررت الوزارة افتتاح الجامعة الشعبية أوائل شهر فبراير سنة ١٩٤٦ لتنظيم أوقات فراغ البالغين من الجنسين بواسطة دراسات عقلية وفنية ومهنية تعمل على تكوين شخصية أصحابها وترقية ملكاتهم واستعداداتهم ، وتهدف الجامعة نحو نشر الثقافة العامة بين جميع طبقات الشعب حيث لا يقتصر الاستفادة فيها على طائفة معينة أو مؤهلات خاصة سوى الرغبة الشخصية كما تعمل على رفع المستوى العام الفكري والاجتماعي

مناهج الدراسة :

تنقسم مواد الدراسة بالجامعة إلى شعب هي:

١ — الشعبة السياسية «القومية والدولية»

٢ — الشعبة التاريخية

٣ — الشعبة التجارية

٤ — الشعبة الطبية والصحية

٥ — الشعبة الدينية

٦ — الشعبة الأدبية

٧ — الشعبة الصناعية

٨ — الشعبة الزراعية

٩ — الشعبة العلمية

١٠ — الشعبة الاجتماعية

١١ — الشعبة النسوية

١٢ — شعبة الهوايات والفنون

ويجوز أن تنشأ شعب أخرى بقرار من مجلس الإدارة

شروط الانتساب :

حق الانتساب والاستماع مباح للجنسين على السواء ويشترط ألا تقل سن الطالب عن السادسة عشرة وأن يكون ملماً بالقراءة والكتابة على أن يدفع الطالب أو الطالبة رسماً للقيد قدره ٢٠٠ مليم عن كل شعبة ولا يجوز الانتساب في أكثر من ثلاث شعب .

أوقات الدراسة :

الدراسة مسائية جميع أيام الأسبوع ما عدا يوم الجمعة ويجوز تنظيم دراسات نهارية للسيدات بمركز الجامعة أو ملحقاتها

النشاط الاجتماعي :

تعنى الجامعة بحياة طلابها الاجتماعية عنايتها بالناحية الثقافية وذلك بتنظيم الحفلات الرياضية والسمر والرحلات وما إليها .

الاستعلامات والطلبات :

بإدارة الجامعة الشعبية ٩٤ شارع القصر العيني القاهرة . وتكتب الطلبات على ورقة عادية . ٤٧٥٤

محكمة ميت غمر الجزئية الوطنية

إعلان بيع عقار نشرة (ثالثة)

فى القضيتين رقم ١٤٥٩ سنة ١٩٤٤و/ ٢٥٣١ سنة ١٩٤٣

إنه فى يوم الأحد ٣ فبراير سنة ١٩٤٦ من الساعة الثامنة أفرنكى صباحاً بسراى محكمة ميت غمر الجزئية الوطنية سيباع بالمزاد العلنى العقار الآتى بيانه بعد ملك متولى سالم عكر من حصة الرهبان مركز ميت غمر كطلب فاطمة الهنداوى صالح من جهة الراهبان فى القضية رقم ١٤٥٩ سنة ١٩٤٤ وفاء لمبلغ ٦٢ ج و٥٠٠ م وما يستجد من المصاريف بثمن أساسى قدره ٣٩ ج و٦٨٠ م بخلاف المصاريف بعد تنقيص مرتين وكطلب الخواجا وديع ملطى عبد السيد المقاول بمصر بشارع الدرملى / ١١ ومحله المختار مكتب حضره الأستاذ سليم يوسف سمعد المحامى بميت غمر فى القضية رقم ٢٥٣١ سنة ١٩٤٣ وفاء لمبلغ ٧٧ ج و٣٢٠ م بخلاف المصاريف وبثمن أساسى قدره ٦٤ ج بعد تنقيص الخمس مرتين .

نفاذاً لحكم نزع الملكية الصادر فى القضية الأولى بتاريخ ٤ / ٢ / ١٩٤٥ ومسجل بمحكمة المنصورة الكلية الوطنية فى ٦/٢/١٩٤٥/ ٩٠ وحكم نزع الملكية الصادر فى القضية الثانية من محكمة ميت غمر الوطنية فى ٢٨ / ١١ / ١٩٤٣ ومسجل بمحكمة المنصورة الكلية الوطنية / ٤٤ جزء ٨٢ فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٤٣

وهذا بيان العقار الكائن بزمام ناحية حصة الرهبان مركز ميت غمر دقهلية

س ٥ ط ١ فدان ٠٠ فدان المينا البحرى الحوض ٩ رقم القطعة ٦٨ أصلية تعامل البحرى القطعة / ٦٧ بحوضه ملك ورثة سالم والشرقى القطعة / ٩٦ بحوضه ملك الخواجا بنى نقولا جورجى زجور وما لى والقبلى القطعة / ٧ بحوضه ملك إبراهيم سالم سالم عكر والغربى فاصل حوض / ٦

١٩ ٦٩ ٤ ٧ س ٠٠ ط / المينا البحرى الحد البحرى ورثة سالم عكر بالقطعة / ٧ بحوضه والشرقى الخواجا بنى نقولا جورجى زجور ما لى بالقطعة ن ٩٦ بحوضه والقبلى ورثة سالم عكر بالقطعة خصوصية مناقصة فاصل ٦٨ بحوضه والغربى مسقة حوض / ٦

١٩ ٧٠ ١٧ س ٣ ط ٠٠ ف / ٧ المينا البحرى الحد البحرى عزب عبده ضيف بالقطعة / ٢٠ بحوضه وشرقى الخواجا بنى نقولا جورجى زجور وما لى بالقطعة ن ٩٦ بحوضه والقبلى ورثة سالم عكر بالعطفة / ٩٦ بحوضه والغربى فاصل حوض ن ٦

٥ س ٩ ط ٠٠ فدان ما قبله قط تسعة قراريط وخمسة أسهم أطيان

فعلى راغبى الشراء الحضور للمزايدة وشروط البيع وكافة الأوراق مودعة بقلم الكتاب لمن يريد الاطلاع عليها ؟

كاتب البيوع

بادر باقتناء نسختك من كتاب :

دفاع عن البلاغة

للاستاذ

أحمد حسن الزيات

وقد زيدت عليه فصول لم تنشر

يطلب من إدارة « الرسالة » ومن المكاتب الشهيرة وثمنه ١٥ قرشاً

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

نشر الاعلانات فى الرسائل البرقية

إن الاعلان فى الرسائل البرقية المتداولة بين سكان القطر المصرى بأجمعه هو دعاية هامة واسعة النطاق قد هيأتها المصلحة للمعلن الذى يرى إلى رواج أعماله وللتاجر الذى يبغى التوسع فى تجارته .

وقد راعت المصلحة أن تكون أجور النشر فى هذه الرسائل زهيدة وفى متناول الجمهور فجعلت كل مائة ألف إعلان بثلاثين جنيها مصرياً وكل ربع مليون بسبعين جنيها وكل نصف مليون بمائة وعشرين جنيها فضلا عن تخفيض معين فى المائة إذا بلغ المراد نشره مليونا أو أكثر من الاعلانات .

انتهزوا هذه الفرصة ولا يفوتكم أن تحجزوا من الآن القدر اللازم لكم من هذه الرسائل .

ولزيادة الاستعلام اتصلوا — بقسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة — بمحطة مصر

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)